وزارة التعليم العالي والبحث العلـمي
جامعة قاصدي مرباح– ورقلـة
كليـة الاداب واللغات
قسم اللغة والأدب العـربي

آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية
مقاربة سيميائية

مذكر؟ ?ر ? لنيل ??جة ?لماجستة ? ??لأ? ??لعر ?

تخصص أدب عربي قديم

من إعداد الطالبـة :

- **نادية مفاتيح**

تحت إشراف :

د. احمد موساوي

السنة الجامعية 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

صدق الله العظيم

الحج الاية 46

الإهـــــداء

الملخص

تنحصر دراستنا تحت عنوان : آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقارنة سيميائية وهي تهدف إلى الكشف عن آليات الكتابة في هذه الرحلة و اتبعت لحل هده الإشكالية خطة تكونت من : المقدمة و التمهيد و ثلاثة فصول : الفصل الأول عتبات النص الرحلي الورثيلاني ، الفصل الثاني : بنية السرد في الرحلة ، الفصل الثالث : البنية الزمكانية للرحلة ،و خاتمة واهتدينا في نهاية دراستنا إلى جملة من النتائج و هي : الرحلة الورثيلانية تشعبت فيها مواضيع عدة : الدين ، الاجتماع ، الجغرافيا ، التاريخ و ظهور سيطرت الشخصية الرحالة على هذه رحلة و حظورها الدائم في جميع محطاتها وهي شخصية متمسكة بدينيها تحترم و تبجل أهل العلم و المشايخ كذلك لاحظنا كثرة الاستطراد و الإطناب و الميل المفرط في توظيف مختلف المحسنات البديعية و أخيرا الدقة في تصوير المشاهد و تحديد الأزمنة و الأمكنة .

Résumé:

Notre étude est intitulée : Les mécanismes de l'écriture dans le trip Alorthelanien , approche sémiologipue . Et a but de découverte les mécanismes et les particularités de ce trip .
Pour cela j'ai suivi un plan de trauail pour résoudre ce probléme : Introduction , préface et trois chapitres :dans le premier chapitre : Seuils de texte de trip Alorthelanien ,le deuxiéme chapitre :La structure temporelle et spatiale de trip , conclusion .
Et nous avons guidé à la fin de notre étude au plvsieurs résultats pui sont :La diversité des thémes dans le trip Alorthelanien en plusievrs domaines : Réligion , histoire , géographie , habitudes et traditions . Sans oublier le controle personnel central et sa présence permanente dans les stations de ce trip et la mvltude de digression et de cireonlocusion et l'excessif des philanthropes languistipues et la précision dans les scénes représentant et déterminer le moment et le lieu .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	
ملخص بالعربية	
ملخص بالفرنسية	
المقدمة	أ
التمهيد:ماهية الرحلة و الورثيلاني ورحلته	4
الرحلة في اللغة و الاصطلاح	5
التعريف بصاحب الرحلة و رحلته	7
أثار الشيخ العلمية	9
أعمال الشيخ	10
الفصل الأول عتبات النص الرحلي	
ماهية العنوان	19
استراتجية العنوان	20
خطاب التقديم	24
بداية الرحلة	32
الفصل الثاني:بنية السردفي الرحلة	
بعض أهوال الرحلة	36
سلطة الرحالة	42
اعلاقتها بالشخصيات الأخر	49
الآخر العالم أو الولي	49
الآخرالتركي و الحاكم الظالم	51
الآخر الصديق	52
الآخر العدو و الاخر الكافر	52
الفصل الثالث:البنية الزمكانية في الرحلة	

زمن التوجه	58
زمن الاداء	61
زمن العودة	64
الترتيب الزمني	66
الاسترجاع	67
الاستباق	71
الحذف	75
الخلاصة	78
الوقفة	80
بنية المكان	82
المكان الأصلي	86
المكان الآخر	88
المكان الإيجابي	88
المكان السلبي	90
المكان الهذف	91
الخاتمة	95
قائمة المصادر و المراجع	

المقدمة

المقدمـــــة

تعد الرحلات مادة خصبة للدراسة فما أنجزه الرحالة جدير بأن يلقى الاهتمام و يعاد البحث فيه , فعلى الرغم من الدراسات العديدة للرحلة . فإن هذه الجهود ما تزال بسيطة و محدودة , فيما يخص الرحلة باعتبارها فنا أدبيا يحوي في أعماقه جذور البنية السردية القصصية في أدبنا العربي .

ويظل الفؤاد متيما هائما متحرق الأشواق لملاسمة أستارالبيت العتيق ،بيت وضع لبناته خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام ثم لبي نداء خالقه فأذن في الناس للحج فإذا النفوس ملبية في كل موسم خاشعة خانعة ....ونظرا لما تكتسيه رحلة الحج من أهمية وإجلال وفي ضوء هذه الرؤية تم اختياري لهذا الموضوع : **آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية**

ومن تم يطرح البحث **الإشكاليات** الآتية :

أولا : كيف كتب هذا النص الرحلي ؟ وما هي مميزاته ؟

ثانيا : ماهي دلالة عنوانه ؟ ماهي عتبات هذا النص ؟

ثالثا : كيف بني السرد في هذه الرحلة ؟ كيف ظهرت الأنا فيه و ما علاقتها بالشخصيات الأخرى؟

رابعا : كيف استخدم الزمن في هذه الرحلة وماهي تقنياته؟ وكيف وظف المكان فيها ؟

ويعد موضوع الرحلات الجزائرية من الدراسات المتناولة حيث وجدت عند سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري و دراسة أخرى تحمل عنوان الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها , في حين لم أعثر على دراسة تطبيقية تناولت هذه الرحلة بالذات **ولعل من بواعث اختياري إلى هذا الموضوع للدراسة و البحث:**

أم أغلب الدراسات والبحوث المقدمة لنيل درجة الماجستير والمتعلقة بمجال الأدب العربي القديم اتجهت نحو أدب المشرق ولم تلتفت إلى تراثنا وأدبنا الجزائري كذالك دراسة الرحلات الجزائرية على حد اطلاعي لم تحظ بالاعتناء الكافي من قبل الدارسين على الرغم من أهميتها ووفرتها خاصة إذا ماقيست وقورنت بالدراسات التطبيقية للرحلات المغربية .

وكون الرحلة أدب متميز عن باقي الأنواع الفنية الأخرى كالمقامة والسيرة والقصة رغم ما لكل فن من خصوصية وجمالية وعدم النظر إلى أدب الرحلة مجرد وثائق تاريخية .

ناهيك عن الرحلات الحجية هي مصدر إلهام ووحي وإشعاع لأهل العلم والفكروالأدب فكلما وطئت أقدامهم تربة الحرم الزكية عقبت أرواحهم وزكت نفوسهم وتهللت أفئدتهم لتتحرك أقلامهم عن مايجيش في خواطرهم لقد كان قلم الورثيلاني رقيق صور لنا به ملحمة قل أن انبرى لها أقرانه في زمانه .

وكان الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن آليات الكتابة في الرحلة وماهي مميزاتها ودلالة مركباتها .

لمعالجة الإشكاليات السابقة ذكرها ارتأيت وضع الخطة التالية التي سار عليها البحث :

التمهيد : مهدت فيه للموضوع والأساسي ـ الرحلة ـ حيث قمت بتحديد ماهية الرحلة في اللغة والاصطلاح وتطرقت إلى التعريف بالرحالة الشيخ العالم والفقيه ورحلته العظيمة المخلذة .

أما في **الفصول** فقمت بدراسة **عتبات النص الرحلي** محاولة الكشف عن دلالة العنوان باعتباره علامة إخبارية تقدم تلميحا لمضمون الرحلة حيث اختار الورثيلاني مركبا اسميا خاليا من الأفعال طويلا، مسجعا عمواما بارزا لرحلته ،أما عن المقدمة فهي قريبة من مقدمة خطبة دينية ، كثر فيها التوسل والدعاء والبسملة والحمدلة لتكون العتبة الثاثة هي بداية الرحلة .

انتقلت في الفصل الثاني إلى **بنية السرد في الرحلة** عرضت فيه سلطة الرحالة فهي شخصية مركزية سيطرت على جميع محطات الرحلة دائمة الحضور تنقل مشاهد وأماكن وأمصار تبجل وتوقر العلماء والمشايخ ، ثم ذكرت علاقتها بالشخصيات الأخرى بالعالم والولي والصديق والعدو والكافر .

ليكون الفصل الثالث عن **البنية الزمكانية للرحلة** حيث تم فيه تفكيك الزمن منطلقة بزمن التوجه حيث فراق الأهل والأحبة ثم زمن الأداء وهو زمن مقدس وختمته بزمن العودة .

أشرت بعد ذلك إلى الترتيب الزمني وكشفت فيه عن بعض التقنيات المعتمدة كالاسترجاع تتبعت فيه العودة إلى الوراء وذكر الأحدات السابقة ناهيك عن الاستباق والحذف والخلاصة ثم بينت **المكان** الموظف في الرحلة والذي انقسم إلى مكان أصلي لازم الرحالة وحاضر في ذهنه يشتاقه في كل لحظة وأخر مقدس وأممكنة العبور وإلى مكان إيجابي وسلبي

و أنهيت دراستي **بخاتمة** تتضمنت بعض النتائج التي اهتديت إليها وذلك من أجل الوقوف على أهم الآليات المعتمدة في الرحلة .

في حين كان **المنهج المعتمد هو السيميائيو المنهج البنيوي** الذي يفكك ويحلل النص و يبحث في دلالة عنوانه وعتباته كما استعنت بإجراءي الوصف والتحليل .

وفق هذه الخطة كانت مصادر ومراجع البحث متنوعة ومتعددة نذكر من أهمها:

– الرحلة الورثيلانية الحسين بن محمد الورثيلاني.

الرحلة في الأدب العربي ،شعيب حليفي.

وما كنت لأعدد **الصعوبات التي** واجهتني في بحثي لولا التقاليد الأدبية التي جرت عليها البحوث الأكاديمية ، لان لذة الإبحار في تيار البحث ، و لذة الحصول على المعلومة تنسي الدارس كل عناء : صعوبة الحصول على المصادر الأساسية و طول المدونة .

ولا يسعني في النهاية إلا بالتقدم و الشكر الجزيل لاستاد المشرف الدكتور الفاضل : أحمد موساوي ، على ماقدم و أسدى ، و نسأل الله له خيرا ، و لجميع أساتدتي الذين لم يبخلوا علينا بمعلوماتهم و تجاربهم .

ورقلة في 20.سبمتبر.2016 نادية مفاتيح

التمهيـــــد

ـ ماهية الرحلة

ـ الورثيلاني ورحلته

ارتبطت الرحلة في القديم عند العرب بأعز ما يملكون و نعني بذلك الخيل والإبل التي كانت تلعب الدور الأكبر في حياتهم , فهي سندهم في ترحالهم ومنها ملبسهم و مأكلهم وقد سخرها الله لتحمل أثقالهم , وتوصلهم الى مكان لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. فهي حاضرة معهم .

راسخة في أذهانهم لا تفارقهم على مدى اليوم كله تتجلى عندهم من خلال

الخطاب شعرا, ومن خلال الفعل تنقلا, ومن خلال الناقة و الجواد وسيلة.

أـ الرحلة في اللغة :

أخذت الرحلة في معجم لسان العرب حيزا كبيرا من الشرح والتفصيل نظرا لاستعمالها الكثير عند العرب بينما اهملت تقلبات المادة الخمسة بالتداول و الاستعمال .

جاء في معجم لسان العرب :(باب الحاء) ماده ر,ح,ل(الرحلُ: مركب البعير و الناقة و جمعه أرحل و رحال الراحالة من الإبل و البعير القوي على الأسفار و الأحمال و هي التي يختارها الرحالة لمركبه و رحلته .

قال طرفة :

جَازَتِ اَلْبِيدُ إِلَى اَرْحُلِنَا أخِرُ اللَّيْلِ لِيَعْفُورَ خَدِرْ[1]

و قال عنترة :

اِذَ لَا أَزَال عَلَى رَاحِلَةِ سَابِحٍ نَهْدُ مَرَاكِلُهُ نَبِيلُ اَلْمِحْزَمِ[2]

و ارتحلت البعير اذ ركبته أما ابن سيدة فقد ذكرا الحديث النبوي الشريف حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فأبطأ سجوده فلما فرغ سئل عنه فقال : <<أن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله >>[3] نستنتج من هذا القول أن تحقيق متعة الاكتشاف من ناحية الرغبة

[1] ابن منظور، لسان العرب ،مج 3 ،مادة ر،ح،ل، دط،دت, ص: 1140.

[2] ابن منظور ،المصدر نفسه ،ص : 1141.

[3] ابن سيدة، المخصص ،مج 2،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د ط، د ت ، ص : 86.

من مكابدة الشدائد و التغلب عليها من ناحية أخرى هما من الأضداد التي ينشدها الإنسان من الرحلة و يختم ابن منظور قوله :الرحلة ، الارتحال و الرحَلة بالضم الوجه التي تأخد فيه و تريده.

ب . الرحلة في الاصطلاح

إن وجود الانسان على وجه الارض، يفرض عليه أن يكون دائم الحركة كثير التنقل، وإن لاقى في ذلك الجهد والعناء، وكابد اللآلام والشقاء، كذالك طبيعة البشر ومتطلبات الحياة. والرحلة كما تمت الإشارة إليه سابقا هي بكل بساطة قطع مسافة معينة بين نقطتين في فترة زمنية محددة، وغرض محدد ،هذا مايؤكده ويحرص عليه الكثير من المهتمين بدراسة الرحلات أن الرحلة الحقيقية هي التي تتأسس على القصدية ويشترط فيها نقطة انطلاق معلومة ونقطة وصول محددة كما هو مبين في الشكل التالي :

أ..... الرحـلة ..... ب

↓ ↓

نقطة الانطلاق من بجاية ←———— إلى الحجاز

<< الرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض , قد لاتتجاوز مسافة قصيرة في بعض الأحيان وقد لا تمتد وتطول المسافات بين المكان والمكان الأخر >>[1]

أما الدكتور شعيب حليفي قد ذكر << الرحلة نص سردي يتراوح بين قطبي الواقعي والخيالي بأسلوب يسجل ويصف رحلة انتقال السارد (المؤلف)

[1] . صلاح الدين الشامي ,الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ,دار المنشأة المعارف ,الإسكندرية , د ط,د ت , ص : 7 .

من فضاء لأخر أو خارجي على المستوى الفعلي >>[1]

وتختلف الرحلات باختلاف الأغراض البشرية التي تستدعي القيام بها , ولم يهتم الرحالة بكتابة رحلاتهم إلا في القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي) فقداستمر التأليف فيها إلى أن أصبحت فنا أدبيا مميزا حدده الباحثون حديثا وصنفوه ضمن أنماط السرد الذي يتخذ الرحلة موضوعا له في حين ذهب فريق آخر من الباحثين الى هذا الفن قيمتين الأولى علمية والثانية أدبية فهو يتناول الكثير من نواحي الحياة الواقعية <<إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع ومؤرخي الأديان والآداب والأساطير>> [2]

هذا يعني أنها كي تعد فنا لا بد أن تحمل في الوقت نفسه هاتين القيمتين , لكن نسبة إحداهما متفاوتة في الرحلات فبعض الرحلات يغلب عليها الجانب العلمي والتاريخي و الجغرافي والبعض الآخر يغلب عليه الجانب الذاتي والأدبي والوجداني .

كان اهتمام الرحالين بتدوين رحلاتهم كبيرا جدا ، ويضيق بنا في هذا المحل تعداد كل المؤلفين في الرحلة من جغرافيين ومؤرخين وأدباء وغيرهم من المتخصصين ونخص بالذكر أشهرهم :

أحمد بن يعقوب " البلدان", والمقدسي "مؤلف أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ", كما تواصل تأليف الرحلات ذات الطابع الجغرافي والتاريخي وعظم وخاصة على يد أمثال البكري وابن جبير الأندلسي ,وابن بطوطة المغربي وعبد الرحمان بن خلدون

أما الرحالة الجزائريون كانت لهم مساهمات واضحة في كتابة الرحلات ولا سيما خلال القرن الثامن عشر لكنها قليلة الإنتاج بالقياس إلى كتاب الرحلات المغربية ولعل ذلك يعود إلى أنه عدد من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا الى الجزائر لتسجيل ملاحظاتهم أمثال عيسى الثعالبي ويحيى الشاوي وأحمد بن عمار.

[1] -شعيب حليفي , الرحلة في الأدب العربي , رؤية في النشروالتوزيع , ,القاهرة, ط, 1, 2006,ص : 69.

يمكن تقسيم الرحلات إلى رحلات علمية ورحلات حجازية ورحلات تجاريةو ... فالمقصود بالرحلات العلمية تلك التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والاطلاع على البلدان والأخذ من علمائها حيث نذكرمنها رحلة "عبد الرزاق بن حمادوش "الذي قام برحلة طلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر الى تطوان ومكناس وفاس ثم عاد الى الوطن واصفا الحياة العلمية والسياسية في المغرب أما الرحلات الحجازية، فهي أكثر وفرة وقد تم تقسيمها من طرف الباحثين إلى شعرية، ونثرية وقبل الخوض في الحديث عن هذين القسمين،<< نقول أن توجه الجزائريين إلى الحجاز كان عادة نتيجة توق روحي نحو الحرمين وزيارة البقاع المقدسة التي وطئتها أقدام سيد الخلق وخاتم الأنبياء وصحابته فالحجاز في نظرهم ليس مجرد بقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم ونحو ذلك ولكنها كانت قطعة أرض طاهرة تظم تاريخ الوحي والدعوة الإسلامية ولذلك فهم يسجلون عواطفهم المتأججة لرؤية الحجاز وأهله والتبرك بترابه وهوائه ومن يقرأ مقدمة إبن عمار يدرك هذه الحقيقة>>[1].

وتشترك الرحلات الشعرية والنثرية في وصف الأحاسيس الدينية والروحية , فعبد الله بن عمر البسكري ذكر في قصيدته مطلعها :

دَارُ اَلْحَبِيبِ أَحَّقُ أَنْ تَهْوَاهَا وَنَحْنُ مِنْ طَرِبِ إِلَى ذِكَرَاهَا

واهتزت نفس الكريم المغيلي عندما حل بالحرم ونطق بقصيدة مفتتحة بقوله :

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ اَلْأُمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَةُ اَلْمُخْتَارِ فِي اَلْحَرَمِ[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،ط 2، 1985،ص : 396.

[2] -يتظر : المرجع نفسه ، ص : 402.

أما الرحلات النثرية المعروفة في تلك الفترة مثلما ورد في وصف الحفناوي مؤلف "تعريف الخلف برجال السلف <<فقد جمع علوم زمانه وعرف العلماء والفقهاء على امتداد الرقعة الإسلامية :الإمام العالم العلامة الكامل شيخ مشايخ الأعلام الورع الزهد المتعبد لأثر الرسول الجامع بين المعقول والمنقول بحر الحقائق وكنز الدقائق .... .

<<هي أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر وأعلق تأليف بين البوادي والحواظر لاشتماله على عوارف المعارف وظرائف الطرائف وأوابد العوابد .... >>[1] .

ألا وهي الرحلة الورثيلانية الموسومة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للعلامة الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني موضوع دراستنا

ج . التعريف بصاحب الرحلة و رحلته

هو الحسين بن محمد السعيد بن عبد القادر من ذرية الشيخ علي البكائي البجائي [2] ,وهم كما ذكر أشراف حسينيون قدم سلفهم الأول الى بجابة تافيلات بالمغرب الأقصى واستقروا ببجابة مدة من الزمن ثم شاء الله أن يرحل جده سيد أحمد الشريف الى بني ورثيلان ويتخدها مقرا له ولذريته وطلبته

أما الشيخ الولي الصالح الحسين فقد ولد في بني ورثيلان سنة(1125 هـ 1193هـ,) وبها نشأ في ذلك الجو المفعم بالعلوم الشرعية والنفحات الروحية , حفظ القرآن في سن مبكرة وساعدته تلك الأجواء الروحانية على تلقي العلوم الشرعية واللغوية ويحس القارئ للرحلة من كلامه ميلا مبكرا لتصوف , وحبه الأولياء والشيوخ أحياء وأمواتا كل من إستطاع إليه وعدد في كتابه بالثناء الجميل والأوصاف الكبيرة والكرامات الخارقة .

[1] - الحسين بن محمد الورثيلاني،الرحلة الورثيلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ط 1 ،2008 ،.ص: 12.

[2] المصدر نفسه .ص :20.

وقد أفادته هذه الأسفار والرحلات كثيرا حيث مكنته من لقاء الناس على مختلف مستوياتهم العلمية والعقلية ومكانتهم الإجتماعية فألبسته خبرة واسعة بنفسية الأفراد والجماعات .

وهي من أهم شروط النجاح في التعامل مع الفئات المتباينة المشارب وجعلت لكلمته أثرا مقبولا في الأوساط الشعبية والرسمية وصدى حسنا ... وتكتمل هذه الأسفار برحلات الحج فقد حج ثلاث مرات أو أكثر واستغرق بعضها ثلاث سنوات :

أولاها : مع والده عام 1153هـ وعمره حينه ثمانية عشر عاما .

ثانيها : وكانت عام 1166 هـ وعمره آنذاك واحد وأربعون عاما

ثالثهما : فاستغرقت الأعوام 1179 . 1180. 1181 .

وكانت حافلة بالنشاط العلمي واللقاءات المتكررة والمتواصلة بالشخصيات الفاعلة

بعض شيوخه :

أول شيوخه هو والده العالم الصالح محمد السعيد كما ذكر من شيوخه عمه الشيخ محمد الصغير وهناك منهم أيضا محمد الصغير بن رقية ،ومن الذين درس عليهم في زاوية جده فقال :

<<وقد تعلمت الألفية على تلميذه العلامة سيدي علي بن أحمد وطريقته شاذلية ناصرية>>[1]

أما في مصر فنذكر بعض أسماء شيوخه :

1. الشيخ الحفناوي : حضر مجالسه في تدريس الرحبية ويشرح الششتوري لقنه الذكر وأذن

[1] ا حسين بن محمد الورثيلاني, المصدر السابق ،ص: 663.

له في الاعطاء[1]

2ـ الشيخ الزيات الشافعي: حضر مجلسه في مسائل النحو من الاشموني وناقشه ثم أنصفه وأقره.[2]

3 ـ الشيخ أحمد الإشبيلي: حضر بعض دروسه في البلاغة.

آثار الشيخ العلمية :

تحدث الشيخ في كتابه الرحلة الورثلانية عن بعض ما ألفه من المؤلفات لايجد الدارس لها أثرا في المكتبات ولا ندري هل هي موجودة في المكتبات الكبرى الوطنية أو الجامعية في الجزائر أو تونس أو المغرب أو غيرها من المكتبات العالمية منها :

1. شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي .

2. رسالة في شرح : وقفت بساحل وقف الأنبياء دونه .

3. شرح القدسية للشبخ سيدي عبد الرحمن الأخضري.

4. شرح على وسطى السنوسي.

5. شرح خطبة الكبرى للشيخ السنوسي.

6. تشطير البردة للبوصبيري .....الخ

و لا نحب أن نغادر حياة الشيخ الورثيلاني قبل الاشارة إلى نقطة بارزة في أعمال الشيخ وسعيه ، و أحسبها تشكل المحور الأساسي و العمود الفقري ، تلتحم حولها الجوانب الأخرى ، وهي:

[1] الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق , ص292 .

[2] المصدر نفسه ،ص294.

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أقول هذا لأن الشيخ سمع في حجته الأولى ، وهو في ساحل حامد بليبيا من بعض الأولياء ما يفيد بأنه . الشيخ الحسين الورثيلاني . سيعود إلى بلده ، ليقوم في الأمور الباطنية بالمهام التي كانت مسندة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب ، و الذي توفي في ذلك العام ، ودفن بالقرافة الصغرى في مصر[1] .

ولا شك أن هذه الإشارة قد زادته يقينا بأنه مكلف ينهض بمهمة كبيرة تمثلت خاصة في التعليم ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الإصلاح بين الناس ، و ليس الانقطاع إلى العبادة و حياة الرهبنة بعيدا عن أعين الناس و مشاكلهم ، و أتعابهم ، وهي نقطة لا يجوز إغفالها من حياة الشيخ حين الحديث عنه، وعن أعماله ، فقد كان مخالطا للناس متحملا لأثقالهم و أعبائهم ، ولم يعتزلهم ، بل كان يدعو غيره ممن هو أهل لذلك ، فيحثه على القيام بتلك المهمة النبيلة التي قد تكون حاجة الناس في كثير من الأوقات من غيرها.[2]

و يعتبر عمل الشيخ الورثيلاني في هذا الباب من الصفحات البيضاء و المضيئة في حياته وفي تاريخ البلاد ، تدعو بإلحاح كل من يريد الاقتداء بهذا الشيخ من الأئمة و الفقهاء و الشيوخ أن يحذو حذوه ، فقد نذر حياته . وهي أمانة. للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و تألم كثيرا لما رآه ويراه من انحراف عن الصراط المستقيم ، أو تقصير بالواجبات الشرعية ، وهذا ما سنعرض بعضا منه بحول الله :

[1] ا حسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص: 663.

[2] المصدر نفسه ، ص: 178 .

2. يذكر على من عطل حدود الله في الميراث :

تتحدث أنه في الكثير من جهات الوطن ، و خاصة في بلاد القبائل فشا بينهم عرف قبيح ، تمثل في منع المرأة من نصيبها المفروض بنص القرأن في الميراث ، وهو ما أنكره الشيخ وعمل جاهدا لإبطال هذه العادة المحرمة وفي ذلك يقول :

<< ومن عاداتهم القبيحة و أفعالهم الشنيعة، قطع ميراث النساء>> [1]

وقد وقف فيها وفي غيرها الموقف الشرعي السديد ، وتصدى للمنكرين بكل وسيلة ، بل إنه استنجد بالحاكم لإرغامهم على تطبيق حدود الله وحقق الكثير .

3 إصلاح ذات البين :

من يتأمل في كتاب الرحلة الورثيلانية ، يجد الشيخ يتحرك كثيرا و يسافر بعيدا ، و لإصلاح ذات البين نصيب كثير من هذه الأسفار ، وهذا شاهد من أقواله في كتابه : الرحلة الورثيلانية :

<<فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة و فضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح<< ذات البين، إذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير، والفتنة بينهم..... فلم يفد فيهم إلا همة الصالحين و أهل الخير، فيجب على من يقبل منهم أن يذهب إليهم و يصلح حالهم، ليرتدع ما فيهم من المعصية>>.[2]

4. السعي لإطفاء الفتن :

[1] - الحسين بن محمد الورثيلاني , المضدر السابق ,ص : 8.

[2] - المصدر نفسه , ص : ن .

و ليتأمل القارئ هذه العبارة الجليلة،و كأنها بنت الساعة ،فقد عبرت بصدق و إخلاص ،عن واقع يحتاج إلى أكثر من الشيخ الورثيلاني ، وهو واحد هؤلاء، الذين ينتسبون إلى هذه الطائفة.

القائمة بين المسلمين ، فقد بلغ السيل الزبى ، يقول الورثيلاني :

<<الوطن عزيز وغال وسبب ذلك كثرة الناس ، غير أنه خال عن السلطان و أحكامه ، فالوطن سائب ، عمره الله بالأحكام الشرعية ، وأزال منه الفتنة ، وبدلذلك بالعافية الدائمة .....>> [1]

5 . دعوة قطاع الطرق إلى التوبة :

لا يفتأ يتلمس كل المناسبات و الوسائل لدعوة الناس إلى الخير تطبيقا للآية الشريفة ، التي تبقى في كل وقت وحين الضامن المؤكد للأمن و الأمان ،وهو في طريقه إلى الحج ، يعلم في بعض الجهات قرب صالح باي أن بعض الجماعات تمارس اللصوصية وقطع الطرق ، فيرشدهم ويعدهم الخير من الله ، فيكفوا ويتوبوا ويشاء الله أن يحقق وعد الشيخ ، وفي ذلك يقول :

<<.....ثم ضعنا . ارتحلنا . إلى أولاد موسى بن يحي وكانوا محاربين ، يقطعون ، الطريق ، لا يمر أحد على طريقهم ، وهم على ذلك إلى أن سلط الله عليهم الشر ، حتى عاشرتهم مع حسن ظنهم فينا فأمرتهم بترك ذلك ليكثر عندهم الخير ، فامتثلوا فأفاض الله عليهم بكثرة الأموال ورأوا الشيء عيانا >> [2]

---

[1] - الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق ,ص : 28.

[2] - المصدر نفسه , ص : 8 .

6 . التحذير من عاقبة المعاصي :

وفي نفس السبيل ، ومع جهاده الجهاد الحقيقي بالكلمة الطيبة و الموعظة الحسنة و التذكير بالجزاء الإلاهي في الدنيا بالخير أو الشر ، وفي طريقه مرتحلا ، يعلم بانتشار الفساد في قرى الزاب ،يبين مذكرا بما آل إليه أمر هذه القرى ، فيقول :

<< ففسقوا ـ أولاد دراج ـ فيها بالسرقة و التعدي و الشي بالنميمة بين أكابرهم حتى نزل بهم ما نزل و صار البعض العظيم بينهم : " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَة أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا اَلْقَوْلُ فَدَمَرَناهَا تَدْمِيرا>>[1]

7 . الغضب لانتهاك حرمات الله :

الشيخ يغضب أشد الغضب ، لانتهاك حرمة الله اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله ،فقد شاهدودائما في طريقه ، ولكن هذه المرة في تونس (قابس) منظرا أرعبه ، فارتعدت فرائصه ، وخرج عن طوره حتى حسبه الناس مجنونا ، يذكر الحادثة قائلا:

<<.....وخارجه نهر يجتمع فيه الرجال و النساء كل واحد منهم يرى عوره الآخر ، من غير تغيير ولا نكير ، فلما رأيتهم اقشعر جلدي ، وتحركت فرائصي فملأت حجري بالأحجار و صرت أضرب كل من هناك من الرجال و النساء ، فقالوا ما هذالرجل؟ وظنوا أني خرجت من عقلي ففر الكل >>[2]

8 . إنكاره على حجاج لا يتورعون :

[1] سورة الاسراء، الاية12، ينظر الرحلة، ص: 86.

[2] حسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص: 127.

ومع جماعة من رفقة الطريق إلى الحج ، ومنهم الذين يتورعون عن الحرام ، حين يتركون الدواب ترعى في زروع الغير ، وهذه المرة في بولاق (مصر) فنهاهم و لما لم ينتهوا اعتزلهم و فارقهم حتى لا يشهد ارتكاب المعاصي ، وهولا يقدر على تغييرها ، وهذا حديثه :

<<..... إلى أن وصلنا إلى إمبابة ، وجاهة بولاق ، فنزلنا فرادى و نزل معنا بعض الركب ، و بقينا أياما هناك ، غير أن الناس لم ينزجروا التعدي على زرع الناس بل حصدوه ورعوه الإبل ، و الفلاحون يتشكون و يبكون و يتباكون ، فنهيناهم وزجرناهم ، بل ضربنا بعضهم ، فلم ينزجروا بل زادوا ظلما وعدوانا ، فذهبت إلى الشيخ وقلت له ليس إلا الانتقال إلى بولاق >>[1]

9ـ التحذير من الفتن بين الناس :

يشتد غضبه ، وهو يذكر بحسرة و أسى الفتنة التي وقعت للركب المغربي (الجزائري + المغربي) في مصر مع أهل البادية و ادعاءاتهم على كل من يرونه من الحجاج ، دعاوى باطلة . يتبادلون فيما بينهم شهادات الزور على الأبرياء من الحجاج ، بهتانا و تآمرا مع الحاكم المملوكي و إرشائه حتى يسجن المدعى عليهم من المغاربة ، و يجردهم من كل شيء معهم فلم يراعوا حرمة لشيخ ولا لعالم ولا ....و....

من ذلك أن أدعوا على الشيخ الورثيلاني نفسه ، خلصه الله من كيدهم وظل يسعى بكل وسيلة لفك المظلومين من السجن ، أو الغرامة أو ....

ويسجل الشيخ هذه الأحداث بكل موضوعية ، فلم يبرئ البدويين المدعين ولا أصحاب الركب المغربي ، ويفسر ذلك ــو هو صادق ـ بوقوع مظالم سابقة كان ضحاياها من المصريين ، ومرتكبوها بعض المشعوذين من الذين يدجلون على الناس لأكل أموالهم بالباطل .

---

[1] ـ المصدر السابق , ص : 282 .

بزعمهم القدرة على استخراج الكنوز المدفونة ، ويرد ذلك كله إلى ابتعاد عن الشريعة فيقول:

<<..... فالبعض من الحجاج يقومون فعلا ببعض النقائص ، و الحكام يجورون فعلا ويرتشون ، و البدويون ..... فعمت الفاحشة ، وقد نبهنا على بعض الطامات يأتيها هؤلاء الحكام و أهل الفتنة ، إذ يقبضون على المستضعفين و يجعلونهم أسرى و يبيعونهم عبيدا >>[1]

ويعلنها عالية مدوية في وجه الحكام ، فيقول :

<< وسبب هذا الإهمال من الحكام و المترفهين ، لأنهم في نعمة عظيمة لم يحسبوا أحدا ، فأباحوا الرقاب و النفوس ، ولم يعلموا بهذه الرذائل ، كالغش في الأسواق و السرقة في الطرق و الدكاكين ، فصارت في النفوس أقبح الأوطان و أذلها للغريب : مصر ومكة . فلا تجد أحدا من لا يحتقر المغاربة ، حتى كادوا يخرجوهم عن الإسلام >>[2]

وأخيرا كتابه العظيم نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار الشهير بالرحلة الورثلانية التي هي أحد الرحلات البارزة في القرن الثامن عشر امتدت هذه الرحلة من الجبل المثقوب (أزرو أيفلان)بمنطقة بني ورثيلان في مدينة بجاية الى مختلف مناطق البلاد أولا ثم باتجاه مكة ثانيا بدءا بمسقط رأسه ثم نحو شرق الجزائر مرورا بزمورة وبسكرة وتبسة إلى تونس إلى أن اصطدم بالبحر الأبيض المتوسط فليبيا مرورا بطرابلس والبلدان الساحلية المتعددة على ضفاف البحر ثم مصر منطلقا من وادي الرهبان في الغرب واقترب من الإسكندرية بعدها سلك السبيل المؤدي على بولاق ثم الأزهر وصولا إلى منطقة العريش ثم دخل الحجاز بمحاذاة البحر الأحمر إلى ان وصل إلى مكة المكرمة.

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص: 556ـ 557.

[2] المصدر نفسه، ص: 559ـ 560.

حيث موعد الحج لقد أخدت الرحلة تقريبا نفس المسلك في العودة دامت الر حلة حوالي ستة أشهر في الذهاب وسنة في العودة ويبدو أنه أكمل كتابه بعد سنين من عودته

حيث أنه أرادها وثيقة اخبارية للخلف عن تجربة موسم الرحلة بما تحمله من معاني إيمانية عظيمة وتجربة روحية عميقة إضافة إلى مايتخلل هذه الهجرة الظريفة في سبيل الله من عجائب ومخاطر ذكرها بالتفاصيل في نص الر حلة الذي يقع في حدود ثمانمائة صفحة ويتميز أسلوبه بالبيان الواضح والأدب الرفيع والسرد الروائي البليغ إضافة إلى توظيف السجع والشعر في ترجمة تجربته وأحاسيسه الإيمانية في رحلة التقرب من الله عز وجل وملامسة أثار نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بالأراضي المقدسة .

الفصل الاول

عتبات النص الرحلي الورثيلاني

1. العنوان
2. المقدمة و خطاب التقديم
3. البداية و المشهد الجدري

إن التعامل مع النص الأدبي ، يفرض على الدارس أو الناقد أن يضع لذلك مخططا يسير عليه ، و ذلك بتحديد خطوات محددة يتبعها للوصول إلى الغاية . غاية التحليل و الدراسة و في كثير من الأحيان نجد أن النص الادبي نفسه يفرض مراحل تناوله ، أو خطوات دراسته و التي عادة لا تخرج ن الخطوات الأساسية التالية :

1. النظرة إلى النص من الخارج و هي النظرة التي تسقط مباشرة على الشكل الهندسي للنص و مثل هذه النظرة تكون قبل القراءة .

2. القراءة و نعني بها القراءة الواعية التي تساعد على الفهم ، و تحقق اللذة و تمهد الطريق للتحليل .

3. ما بعد القراءة حيث تبدأ عملية التركيب و الإبداع على أنقاض النص المدروس .

و المعلوم أن كل عمل سردي ، لابد أن يتشكل كمجسم في ذهن صاحبه ، يحدد له أعمدته الأساسية ، و يرسم له تصميما يبني عليه ، ذلك أن العمل السردي كما يرى العديد من النقاد << نشاط إرادي يرتب خلاله لكاتب العناصر و الأسس الفنية الرئيسية التي تتكون منها حبكة فنية ترتيبا إراديا >>[1]

إن هذا التخطيط يعتبر استراتيجية مدروسة ، و موضوعة أساسا من أجل الوصول الى غاية محددة ، هي القارئ أو المتلقي عموما ، و التأثير فيه بغية إقناعه ، أو توجيه فكره ، أو تنبيهه إلى أمر ما ، بحسب طبيعة النص و الغرض منه .

[1] خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، دار الشهاب للطباعة و النشر ، باتنة ، الجزائر ، دط ، دت ، ص: 119.

ومثل هذا التصميم القبلي ، يعتبر ضروريا لكل عمل سردي ، وفي ذلك " لاحظ غريماس أن السرد يكون مبنيا بصورة مسبقة حتى تشكله و هذا هو ما يسمى بالإطار الشكلي لجنس السرد "[1]

إن إبداع أي نص سردي ، لايمكن أن ينطلق من فراغ ، أو يأتي وحيا دون مقدمات ، كما لا يمكن أن ينجز دون تخطيط . فالأديب إذا أو المبدع عموما ، يضع تصميما لما يريد أن يقدمه تم يقدم فكرته ، و فق ذلك التصميم ، و بذلك الإنتاج الأدبي يتقاطع مع الإنجاز البنائي المعماري الذي يعتمد على مرحلتين أساسيتين : التصميم ثم الإنجاز و معلوم أن " التصميم هو فكرة المهندس المعماري و بنية البناء هي إنجازه "[2]

إن المنطلق يفرض أن يكون لكل عمل سردي نقطة بداية ، و أخرى للنهاية ، و ليس المقصود بالنهاية هنا نهاية النص في مدلولاته ، فذلك أمر مرفوض في عرف النقاد الحداثين ، اذ لو كان الأمر كذلك لانتهت تلك النصوص الأدبية التي تنتمي الى عصور غابرة بعيدة عنا

حيث أن المقصود بنقطة النهاية ، هي نهاية بناء النص على مستوى كاتبه ، و بعبارة أخرى تعني النهاية هنا تلك النقطة التي يضعها الكاتب ويقدم بعدها نتاجه للقارئ الذي قد يولد منه مجموعة نصوص أخرى لا تعد ولا تحصى .

عتبات النص الرحلي تعتبر علامات ومنعطفات لتفكيك بنية موازية له وتشغل فضاء مرآتيا وإذ كانت العتبة الأولى علامة تختزل دلالة النص وتحيل على جنسه فإن المقدمة تكون أشد ارتباطا به كونها توضح خلفيات الرحلة في حين الجملة الأولى في النص الرحلي تمثل البداية أو المشهد الجذري .

---

[1] حسين خمري ، فضاء المتخيل ، منشورات دار الاختلاف، ط1 ، 2002 ، ص : 83 .

[2] عبد المالك مرتاض ،النص الادبي من أين و الى ، محاضرات ألقيت على طلاب الماجستير في الادب العربي للسنة الجامعية 1981/80، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983.

1. دلالة العنوان في الرحلة واستراتيجته :

أولا . ماهية العنوان :

إذا بحثنا في الأصل اللغوي في كلمة العنوان فإنها تتشكل من كلمتين عنن وعنا .

عنن : تفيد معنى الظهور والاعتراض .....وجاء في المعجم الأدبي : عنن الكتابة ، عنونه[1]

أما المادة عنا: تفيد معنى القصد والإرادة ونقول : عنيت بالقول أردت كذا ، ومعنى كل كلام و ومعنيته :مقصده .

من خلال ماتقدم ذكره يمكننا الجمع بين هذين المعنيين لكلمة عنوان أنه تعني الظهور والقصد .

في حين العنوان في الاصطلاح فهو ذلك النص الذي يضعه الكاتب ليدل به على عمله سواء كان هذا العمل نصا أو كتابا , وقد يطول العنوان أو يقصر وقد يكون كلمة أو مركبا إضافيا " أو جملة اسمية أو فعلية أو أكثر من ذلك ونظرا لأهمية العنوان فإن الأدباء والكتاب أصبحوا اليوم يختارون لما يكتبون عناوين وهم على قناعة تامة بـ : << ان اختيار العنوان ليس ترفا تزينيا , بل تعبير عن إستراتيجية كتابة لا بد أن يكون لها موقع في إستراتيجية أي قراءة لاحقة >>[2]

---

[1] جبور عبد النور , المعجم الأدبي دار للملايين ,بيروت , ط 19842,ص :185 .

[2] تهاني عبد الفتاح, السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقن وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجا, المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط2002,1,ص : 137.

و لا يختلف اثنان أن العنوان يشغل حيزا كبيرا في الدراسات الأدبية و النقدية في العضر الحديث ، و أصبح الاهتمام به يتزايد يوما بعد يوم حتى تفردت و تخصصت به الدراسات لا تتعداه الى غيره تحت عنوان كبير علم العنونة , كما يقر بذلك الدارسون و المهتمون

به ، هو مفتاح النص , بل هو أول لقاء بين القارئ و النص ، يسعى من خلاله صاحب النص إلى تحقيق غاية محددة و هي الصدمة التي توخز القارئ و المتلقي و تلفت الانتباه و ترغبه في الإقبال على النص .

إن القراءة الاولى لعنوان الكتاب : الرحلة الورثلانية . توهم بأن الكتاب كتاب تاريخ في المقام الاول :

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار و الواقع غير ذلك ، إذ ما إن يشرع هذا القارئ بتتبع فصوله حتى يدرك بأن الكتاب متنوع المعارف و العلوم ، فيجد الفقه و التوحيد و التصوف و الحديث و التفسير ..... كما يجد التاريخ ، و كان له نصيب لا بأس به من اهتمام الشيخ توضيحا لأهميته ، و تنبيها على خطورة إهماله ، و نظرة اللامبالاة إليه ، و و نعيا على تفريط أبناء وطنه في العناية به ،

و لاننس أن الكتاب هو أصلا في الرحلة و كتب الرحلات ينظر اليها عادة من زاويتين :

ـزاوية أدبية : تهم المعنيين بهدا النوع من الادب

ـزاوية تاريخية : يراها المؤرخون واحدة من مصادرهم التي يستنطقونها في أبحاثهم و دراساتهم و يعتمدونها مع مصادر اخرى .

ثانيا . استراتيجية العنوان :

مما سبقا ذكره عن العنوان و قيمته بالنسبة للنصوص الأدبية و الكتب و المصنفات يجعل الوقوف للحديث عن إستراتيجيته في الرحلة أمرا مطلوبا و مشروعا خضعت الرحلة في العهد

العثماني إلى العنونة والتي كانت في كثير من الأحيان تعبير عن جنس الرحلة ، كما أنه للعنوان مجموعة من الخصائص و السمات التي تحدد هويته و إذا كان ابن فضلان قد وسم رحلته بعنوان رسالة "ابن فضلان " و لعلى ذلك يعود الى ذيوع أدب الرسائل و انتشاره على جنس الرحلة في ذلك الوقت كذلك عن كون كلاهما " الرحلة و الرسالة " تتضمن خطاب انتقاليا من مرسل إلى مرسل إليه و توحي هده الرحلات على أنها رسمية في شكل تقرير و خطاب .

و ما يمكن ملاحظاته على عناوين الرحلات الجزائرية سمة الطول فقد جاءت جميعها جمل سردية كما لا نجد رحلة بعنوان يتكون من كلمة واحدة لعلّ ذلك يعود الى تعدد المضامين في الرحلة و رغبة أصحابها إلى التلميح إلى هذه المضامين من خلال العنوان و منه فان عناوين الرحالت تتنوع و تختلف من رحلة إلى أخرى تبعا لمضامينها و الغرض منها و يمكن حصر هده العناوين في ثلاث أنواع رئيسية :.

ـ عناوين تهتم بالرحالة مثل رحلة محمد الكبير لابن هطال .

ـ عناوين تهتم بالمكان الرحلة مثل رحلة الى الشرق الى للهلالي

ـ عناوين تهتم بنوع الرحلة أو صفتها مثل الرحلة الشافية للدرعي

و في كل هذه الأنواع يكون حضور كلمة رحلة كعلامة تجنيسية مضاف اليه ما يميز رحلة عن أخرى و كل دراسة للمتن الرحلي لابد أن تنطلق من العنوان لما له من أولوية على كافة العناصر الأخرى . فرحلة الورثيلاني الموسومة بـ " نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الأخبار "، و المعروفة اختصارا بـ "الرحلة الورثيلانية " ،يوحي هدا العنوان بالشمولية و التنوع التيمي، وهذا أمر طبيعي يناسب طبيعة الرحلة عموما ، و متن هده الرحلة على وجه الخصوص أما من جهة أخرى جاء مركبا طويلا و هو عبارة عن جملة سيطر عليها السجع من الناحية الفنية الذي أكسبها جرسا موسيقيا و هو ما يجعل الكاتب وفيا لروح عصره ،

عصر الصنعة اللفضية بامتياز و هو العصر الذي اهتم أدباؤه بالبديع اهتماما مبالغا فيه أما من حيث التركيب النحوي فقد جاءت خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذه نزهة الأنظار و هو ما يضعنا أمام جملة اسمية خالصة لا وجود للفعل فيها ، وهو ما يجعل العنوان أكثر قوة في الدلالة و أكثر تعبيرا عن الذات و أكثر تلاؤمامع الهدف الذي من أجله كتبها الورثيلاني و هذا الهدف لم يكن واحدا بل كان في حقيقة الأمر متعددا يتجلى ذلك في قول الرحالة نفسه :

<<و بعد فأني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم و الآثار و الرباع و القفار و الديار ، و المعا طن و المياه و البساتين و الأرياف و القرى ، و المزارع و الأمطار و العلماء و الفضلاء ،و الأدباء من كل مكان من الفقهاء و المحدثين و المفسرين و الأبرار ..... أنشأت رحلة عظيمة ، يستعظمها البادي ، و يستحسنها الشادي ، فانها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار ، مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة و الحكايات المستحسنة ، و الغرائب العجيبة ، و بعض الأحكام الشرعية مع ما فيها التصوف مما فتح به علي أو منقولا من الكتب المعتبرة ..... >>[1]

و هذا العنوان باعتباره نصا حاضرا ، فإن قراءته تحيلنا على مجموعة من النصوص الغائبة ممثلة في عناوين تلك الكتب التي تشرك مع النص الحاضر في الكلمة المفتاحية " نزهة " مثل :

ـ " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " للإدريسي المتوفي 560هـ .

ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر "لابن الجوزي المتوفي في 597 هـ.

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني,المصدر السابق,ص : 16.

ـ " نزهة الأبصار في محاسن الأشعار " لشهاب الدين أبي العباس العنابي المتوفى في العام 776هـ .

ـ " نزهة النظار في قضاة الأمطار " لابن الملقن المتوفى في العام 808هـ .

و هذه التناصية أمر طبيعي لا ينقص من قيمة الرحالة و لا رحلته شيئا ، و لا يخفى علينا أن ما تحمله كلمة" نزهة " من معاني التجوال و المتعة ، و المعلوم أن النزهة ترتبط عادة بالمشاهد الطبيعية الجميلة والبشرية الخارقة التي تبعث في النفس تلك الراحة التي يسعى إليها كل إنسان وإذا لاحظنا أن العنوان بهذه الصورة الأصلية التي ورد بها اختفت فيه الكلمة المركزية وهي " الرحلة "و لم يكن لها حضور صريح مما يجعل القارئ أمام عنوان لكتاب تاريخي ، ترحل فيه الذات المعنوية في نزهة بالبصيرة لا بالبصر في فضاء علم التاريخ و الأخبار.

مما لا شك حضور كلمة التاريخ في هذه العتبة الأولى جاء مقصودا من الرحالة باعتبار أنه وضع نفسه من خلال رحلته في مقام المعلم العارف بالقضايا الفكرية المطروحة في عصره إذ يريد تصحيح النظرة السلبية تجاه علم التاريخ حيث قال الورثيلاني معبرا عن موقف الجزائريين من التاريخ و نظرتهم إليه :

<< علم التاريخ منعدم فيهم و ساقط عندهم ، فيحسبونه كالاستهزاء ، أو انشغالا بما لايعني ، أو من المضحكات المنهي عنها ، فترى المتوجه منهم الى الله ، يرى الكلام فيه مسقط من عين الله تعالى ليس هو عندهم من علم يذكر ، إذ لا طائل فيه أصلا ، بل بنفس ذكره عندهم ينكر >>[1]

[1] الحسين بن محمد الورثيلاتي,المصدر السابق,ص : 697.

وما يلاحظ على الورثيلاني أنه لم يضف اسمه لرحلته ، لان اختصارها ب " الرحلة الورثيلانية" هو من وضع غيره ـ قد يكون الناشر ـ رغبة في التوجيه و الخفة في النطق و التداول .

. لا يبتعد كثيرا ابن حمادوش الذي وسم رحلته ب" لسان المقال في النبأ و النسب و الحسب و الحال " و المختصرة برحلة ابن حمادوش الجزائري عن استيراتيجية الورثيلاني في وضعه لعنوان رحلته و الذي جاء مركبا من جمل قائمة على السجع .

و أخيرا ما يمكن قوله عن الرحلة الجزائرية بصفة عامة أنها بقيت مشدودة إلى العناوين السردية بحبال فولادية و هو ما يؤكد الهيمنة العامة لنموذج العنونة التراثية فقد جاءت جميع عناوينهم متميزة بنفس المميزات

<< العنوان التقليدي و قوانينه وهي الطول و المضمونية و التسجيع>>[1]

وهي في نفس الوقت عناوين توثيقية باعتبارها عناوين لما يمكن تسميته ريبورتاجات توثق في الغالب أحداث تاريخية قد تكون جديدة مكتشفة تقدم في كثير من الأحيان بيوميات و شهرها وسنتها أو قديمة مروية بأمانة من خلال نسبتها لأصحابها .

2 . خطاب التقديم :

يتفق جميع النقاد المحدثين

<<على انه من العتبات النصية المهمة في توجيه القارئ فضلا عن العنوان و المقدمة إذ أنها تضم من التيمات التي تكشف عن مقصيدية المبدع

[1] شعيب حليفي , المرجع السابق ,ص : 287.

و نواياه الايديولوجية التي تمثل إشارات و موجهات أساسية تقود القارئ إلى فهم أشمل و أدق في النص >>[1]

فالمقدمة في النص الأدبي تحتل مكانة أساسية في بنائها باعتبارها بنية يتخذها الكاتب ووسيلة لتواصل الأولي مع المتلقي ، يسعى من خلالها لوضعه في دائرة جنس النص الذي يقدمه و في إطار مضامينه التي يريد إيصالها إليه و المقدمة كما هو شائع عادة عند الكتاب و المبدعين <<للجواب على سؤال أو الدفاع عن فكرة يتوخى المقدم من ورائها توجيه المتلقي إلى قراءة معينة باعتقاد معين >>[1]

و إذا كان القدماء قد فتنوا بحسن الاستهلال و براعة الابتداء و عدوهما من مظاهر الكفاءة في النظم و التأليف ومن عوامل النجاح في كسب عقل المتلقي و أذنه و قلبه فإن المحدثين اشترطوا للمقدمة شروط أربعة لا يكون النجاح إلا بها و هي كالتالي :

أ- الدقة في الصياغة.

ب - الإيجاز في حجم ما .

ج - المناسبة لموضوعها.

د - التشويق لقارئها.

و مما لا شك فيه أن خطاب التقديم لا بدا أن يقوم على إستراتجية معينة في جميع فنون الأدب سواء تعلقا الأمر بالرحلة و المقامة، أو الرسالة و الخطابة أو بغيرمن أشكال

[1] خليل شكري هياس , سيرة جبرا الذاتية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص : 56.

[2] شعيب حليفي , المرجع السابق ,ص : 174.

التعبير الأخرى و خصوصية الرحلة باعتبارها كما رأينا من قبل تعدد فيها المواضيع و تختلف فيها الأهداف ، تفرض أن تكون بنية المقدمة حاضرة وبإلحاح ، ذلك أن الرحالة لا يمكنه الاستغناء عنها ، لأنها باتفاق النقاد تمثل أهم وسيلة بالنسبة إليه، يستخدمها لأغراض متعددة ، فهي من جهة تعينه على إغراء المتلقي و من جهة أخرى تساعده على << تقديم بعض المعلومات و الإيضاحات حول الرحلة و أحيانا لتبريرات معينة >>[1]

لأن الرحلة قد يكتبها الرحالة بنفسه أو يكتفي بروايتها له ليكتبها فمن الطبيعي أن نتصادف في بعض الرحلات أحيانا بمقدمتين واحدة لصاحب الرحلة الفعلي و هي الأساس التي يجب التركيز عليه باعتبارها جزء لا يتجزأ من الرحلة ولا يمكن فصلها عنها ، و أخرى للناسخ ، عادة ما يبرر فيها ظروف كتابها ، و يعرف بصاحبها و يمدحه و يدعو له كما يشير من جهة أخرى إلى ما يمكن أن يكون قد أضافه إليها،إذا كان قد تصرف في بعض أجزائها .

هذاما وجدناه في المجلد الأول من الرحلة الورثيلانية كلمة المصحح محمد ابن شنب ،

<< أما بعد فالرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار للإمام العلامة و الأستاد الفهامة الشريف النوراني الحسين ابن محمد الورثيلاني نسبة الى بني الورثيلان قبيلة قرب بجاية ، أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر

..... مرصعا و وشاحه بياقوت الأشعار الرقيقة و لما كان هذا التأليف الحسن الترصيف مطمح الأنفس... أمر سمو الوالي العام بطبعه ، لتعميم نفعه " كما قدم ترجمه للرحالة و ذكر بعض آثاره >>[2]

[1] شعيب حبيفي ،المرجع السابق ،ص: 172 .

[2] الحسين بن محمد الورثيلاتي,المصدر السابق,ص : 3.

. ولا يختلف اثنان أن بنية الخطاب المقدماتي تختلف بين رحلة و أخرى ، تبعا لطبيعة الرحلة و الهدف منها ، و تبعا لطبيعة الرحالة ذاته ، من حيث مكانته الأدبية و قدراته التعبيرية و أيضا من حيث مكانته العلمية و الدينية و الحقيقة أن الفصل بين المقدمة و النص الرحلي و الحديث عن ذلك ما هو إلا عملية إجرائية و ذلك لإبراز الأعمدة الاساسية التي تنبي عليها الرحلة :

خطاب التقديم	خطاب المتن	خطاب الختام

أو :

أ. المقدمة، ب . الذهاب ، ج . العودة ، د . العودة ، هـ الخاتمة

المتن

و الحديث عن فصل المقدمة عن النص الرحلي أمر صعب ، بل يكاد يستحيل ذلك نظرا للتداخل الكائن بينها خاصة في الرحلات التي تعتمد مقدمات طويلة مثلما هو حاصل في الرحلة الورثيلانية [1] :

التي انطلق فيها من ثقافة سائدة في عصره ، أعني بها الثقافة الدينية التي سيطرت سيطرة تامة على الحياة في ذلك العهد و على الخصوص في جانبها الصوفي، الذي نجد تجلياته واضحةجلية في المقدمة ، انطلاقا من استيراتيجة الافتتاح التي تتعانق خاصة مع مقدمة الخطبة الدينية ،من خلال المقطع الافتتاحي الذي جاء في معظم الرحلات العربية.

[1] تشغل المقدمة في الرحلة الورثيلانية ما يقارب 104 صفحات

<< بالأسلوب النمطي الشائع من حمد و بسملة و صلاة على خيرالأنام و دعاء لأولي الأمر>>[1]

فبعد المقدمة القصيرة التي وضعها الناسخ والتي عرف من خلالها بالرحالة، و بالغ في مدحه ، و التعظيم من شأنه ، كعادة أهل عصره مع كل من يتوسمون فيه الزهد و الصلاح و التصوف حيث قال بعد البسملة والصلاة والسلام على نبي الرحمة وآله و صحبه :

"<< قال الشيخ الفقيه ، العالم الوارع الزاهد، شيخ الشريعة و الحقيقة ، و إمام أهل الطريقة ،

العالم الرباني ، و الفقيه النوراني ، سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني رحمهُ الله تعالى و رضي الله عنه ، و أعاد علينا من بركاته ، و أفاض علينا من بحر أسراره و أنواره بمنه آمين >>[2]

وبعد هذه المقدمة جاء افتتاح الورثيلاني لرحلته بمقدمة ابتدأها كما لو أنها خطبة إمام كعادة معاصريه في مختلف كتاباتهم ، حيث قال : <<الحمد الله الذي خلق الإنسان أطوارا ، و جعل الشمس و القمر و النجوم أنوارا و سيرها من كون إلى كون بحيث تقطع أبراجا ليلا و نهارا ، فيها عجبا من رحلتها بسوق الأملاك إياها فهي آية النهار حقا مشهورا ، خلق الإنسان ، من نطفة أمشاج ليُبْتَلَى ، وجُعِلَ سميعا بصيرا ، فَهُدِيَ إلى السبيل إما شاكرا و إما كفورا ، كالأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب منها المقربون أعني زمزم ذات المحبوب يفجرونها .

[1] عبد الرحيم مؤدن ،الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر ،دارالسويدي للنشرو التوزيع ،أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، ط1،2006،ص : 77.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق ,ص: 11.

,

بالشوق تفجيرا ..... و يخافون يوما كان شره مستطيرا ، و يطعمون الطعام في البر و البحر على حبه و الرغبة فيه لقلته و غلائه جائعا و ضريرا ، بحب و شوق و عشق في الله و نبيه ورضاهما لا يريدون جزاء و لا شكورا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسعيهم سعيا مقبولا مشكورا ، و تجارة لن تبورا ، ليوفيهم الله تعالى أجورهم ، و يزيدهم من فضله النظر إلى وجهه ، و قد حجوا حجا مبرورا ، ..... و جزاهم بما صبروا لتعب السفر و مشقته حرا و برد و سقما جنة و حريرا , فلا يرون في ظل العرش عذابا أصلا ولا شمسا أيضا ولا زمهريرا ، فما أحسنها من رحلة و ظعن من الخلق إلى الخالق و إن إلى ربك المنتهى و سواه لم يكن شيئا مذكورا ، فسبحان من وفق ..... والصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم سرمدا دائما بكرة و أصيلا ، و على آله و أصحابه أجمعين صلاة نحوز بها غدا حجابا عظيما ، من شركل ذي شر مع لواء الحمد في حضرة القدس منشورا ، و ذلك مع الآباء و الأمهات ، و الأزواج و الذرية و الأحبة وفي جنة الفردوس تكون قصورا ، و أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نشأت من صميم القلب و خلوص الاعتقاد خالية من الامتراء تكون لنا يوم القيامة فوزا و نورا، و أشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله و نبيه و قريبه صلى الله عليه وسلم اذ كان مؤيدا منصورا>>[1]

وما يظهر جليا من خلال هذا المقطع و يلفت الانتباه حقا ، هو مواطن التقاطع الكثيرة التي نجدها بين عباراته و العديد من الآيات القرآنية ، في اقتباسات ظاهرة جلية توحي بأن الرغبة الجامحة في السمو بالروح و تطهير النفس ملكت الرحالة فكانت بذلك من دوافع هذه الرحلة ، الملمح إلى عظمتها وقدسيتها ، باعتبارها رحلة من الخلق الى الخالق

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق , ص: 12.11.

"<< فما أحسنها من رحلة وظعن من الخلق إلى الخالق و إن إلى ربك المنتهى>>[1] وما نلاحظه أيضا في هذه الافتتاحية من البسملة إلى الدعاء . اختفاء ضميري " الأنا" و " النحن " تعبيرا من الرحالة على الخضوع و الذل والخنوع أمام المعظم و المقدس و مرد ذلك يعودإلى أن في هذا الجزء من المقدمة لا يتوجه به الرحالة إلى القارئ و المتلقي الإنسان ، بل إلى خالق هذا الإنسان.

المتفق أو المتعارف عليه أن<< البسملة و الحمدلة و الدعاء فإن الخطاب فيها يتوجه إلى الله و تكون بها الأنا نهائيا غائبة ،متخفية وبعيدة إنه خطاب تقليدي للاستغفار عبره يتم تنبيه الذات إما بالآيات القرآنية أو الدعاء التي تتوجه للإنسان لوعظه و تقويمه ..... >>[2]

ولا يبتعد الرحالة الجزائرين عن هذا النمط الافتتاحي و المعاصرين للورثيلاني نذكر منهم ابي راس الجزائري في "فتح الإله و منته " رغم اعتماده على مقدمة قصيرة .

يقترب الخطاب الافتتاحي في الرحلة من افتتاحية الرسالة و الخطبة الدينية أكثر من حيث توظيف اللازمة و المتمثلة في لفظة " أما بعد " أو " بعد " التي فرضت نفسها على الخطباء و كتاب الرسائل عبر مختلف العصور ، إذ لا نكاد نجد خطبة أو رسالة تخلو منها عند الانتقال من التقديم إلى المتن و إلى الموضوع ، وسيرا على درب الذين سبقوه فقد وظف الورثيلاني هذه اللازمة في مقدمة رحلته مباشرة بعد البسملة و الحمدلة والدعاء

وهذا التقليد لا شك أنه ترسخ عند المسملين اقتداء برسائل وخطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته رضي الله عنهم جميعا من بعد

---

[1], الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق,ص: 11.

[2], ينظر :شعيب حليفي , الرحلة في الأدب العربي ,ص: 15.

قائلا : <<وبعد ، فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم و الآثار و الرباع و القفار و الديار ..... أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي و يستحسنها الشادي>>[1]

لا تكاد تخلو الرحلات الجزائرية عموما من إشارات دالة على وعي تام بأنهم يكتبون في جنس محدد هو جنس الرحلة في خطاب التقديم باعتبار

أن الرحلة في الأصل هي حركة و انتقال قاموا بها فعلا أو رافقوا من قام بها إلا أنهم يحرصون في مقدماتهم على توظيف الالفاظ الدالة على الرحلة ، كالسفر

. أو الانتقال أو التوجه..... .

فهذا الورثيلاني وظف ما يشير إلى أن رحلته هي رحلة حجية مرتبطة بشعيرة دينية ينتظر أصحابها أن يجازيهم الله عز وجل عنها جزاءٌ يتضاعف مع قوة الصبر و شدة الشقاء حيث قال : << وجزاهم الله أيضا على ما صبروا و التعب و السفرعنها و مشقته حرا و بردا و سقما جنة وحريرا >>[2]

. كما حرص الورثيلاني على تقديم في مقدمة رحلته دوافع و أهداف هذه الرحلة و كذا المصادر التي اعتمد عليها و استفاد منها و يمكن توضيح ذلك في الجدول التالي :

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق , ص : 16

[2] المصدر نفسه , ص: 34.

مقدمة الورثيلاني	**الدافع:** لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والأثار الرباع والفقار..... ص: 12
	الهدف : أنشأت رحلة عظيمة ..... تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية... ص: 13
	المصادر: شيخنا وقدوتنا .... سيدي أحمد بن محمد الدرعي الجعفري . وهو صاحب الرحلة الناصرية من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة. وهو كتاب لحماد بن محمد بن علي أحد الرجال الصنهاجيين ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان وكذا حسن المحاصرة في أخبار مصر والقاهرة لعبد الرحمن السيوطي وغيرها مما يناسب المحل... ص: 13

و يبدو مما سبق ذكره ، و التي قدمها الرحالة سواء في العنوان أو في خطاب التقديم هي التي تفرض على الرحالة أن يحدد وجه رحلته من خلال تحديد مكان نقطة الوصول المزمع الاتجاه إليها ، سواء تعلق الامر بتحديد المكان تحديد دقيقا كما هو الحال في رحلة الورثيلاني حيث تم تحديد" بيت الله الحرام " كمكان مقدس . أو سواء تعلق بتحديد المكان تحديدا مطلق بالإشارة إليه عامة كما هو في بعض الرحلات " رحلة إلى الشرقة " رحلات إلى الغرب .... و و حضور بلاد المشرق هنا ،يحيلنا مباشرة الى طلب العلم ، انطلاقا مما رسخ في الأذهان، أن من يتجهون نحو الشرق إنما يتجهون في الأساس للترود بالعلم وملقاة العلماء .

3 ـ بداية الرحلة :

ذكر النقاد العرب القدامى عن براعة الاستهلال و ضرورة " كون ابتداء الكلام مناسب للمقصود و أهميته في خلق الانطباع الأول، العام عن النص وشد انتباه القارئ إلى الدلالات .

وإذا أردنا تحديد نقطة الانطلاق الفعلي للرحلة التي تمثل البداية فقد استخدم الورثيلاني عبارات محددة في قوله : << فلما حان وقت السفر و آن حاله .. و ختمنا بالصلاة في المسجد تم أتينا أهل البيت و الخدام ، و الطلبة و الجيران ، ومن أتى يودعنا ، و دعوا لنا و دعونا لهم و عند ذلك رفعنا ما يحتاج بالرفع ، و أنفصلنا على حسن الانفصال ، ووقع البكاء و الصراخ من أهل البلد ، لما كان من أنسهم بنا إذ اعتقادهم ما دمنا معهم لا يقع بهم إلا الخير و البركة ..... فإذا كان النبي أولى من النفس ، فكيف يبقى التعلق بالأزواج و الذرية و المال ، بل المتروك كالعدم المطلوب إلا من ألزمته الشريعة من الوصية على الأولاد ، و النفقة على من تلزمك نفقته ، لأن الذي ذهبت إليه هو الذي ألزمك به .

فلما جهزنا الأمور، ووفينا السطور، أخدنا في الظعن و الذهاب، و مع ذلك كثر من الناس الارتقاب..... نعم خرجنا يوم الخميس لما فيه من التيمن و البركة، في كل سكون و حركة كما روي عنه صلى الله عليه و سلم >>[1]

مما يبرز جليا في هذا المقطع الافتتاحي الحقيقي للرحلة الورثيلانية يرتكز أساسا على ثلاث أعمدة و نقاط أساسية تظهر فيها طبيعة الرحلة و سيطرة الروح الدينية على صاحبها (الفقيه و الشيخ) ومرافقيه : و يمكن تجليه ذلك من خلال لجدول التالي :

حلول الوقت	لما حان وقت السفر ....
التوديع	أتينا أهل البيت .... دعوا لنا و دعونا لهم ....
الخروج	خرجنا يوم الخميس لما فيه من البركة ...

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق , ص : 104.

و يبدو أن الخروج يوم الخميس كان تقليدا توارثه الرحالون من منطلق ديني وضحه العياشي وأشار إليه بوضوح:

<<خرجنا من بلدنا ..... صبيحة يوم الخميس أول ربيع الثاني و توخينا ذلك اليوم رجاء بركة قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لأمتي بكورها يوم الخميس >> [1]

كما نقل في هذا المقطع صورة . وأخبر عن أحداث واقعية ، اختلطت و تمازجت فيها الأحاسيس و المشاعر، اعتمد فيه الرحالة على الوصف تارة و السرد تارة أخرى معبرا عن حركية جسدها التوظيف المكثف للجمل الفعلية و لما لها وقع في الحركية و الانفعال مثال ذلك :

<<..... رفعنا ما يحتاج الرفع و انفصلنا على حسن الانفصال..... فلما امتنعت كل كل الامتناع لم يبق إلا الصبر ..... بصدد الانطلاق من الآلام و نيران الافتراق و فقدان

المألوف باختناق ألا وهو الوطن الحميمي لملاقاة و آمال الأشواق إلى الفضاء المقدس و المعشوق>> [2] .

يظهر في هذا المشهد الافتتاحي للرحلة ذوبان الذات الأنا ـ الرحالة ـ و طمس ضمير المتكلم المفرد و انطلاقه بنون الجماعة و التحدث باسمها : ..... صلينا ..... ختمنا ..... و دعونا ..... رفعنا .....

فقد وظف ضمير الجمع ليدل به على مجموعة من الناس المرافقين و المشاركين معهم في الحدث . ..... .و المتعارف عليه أن الرحلات الحجية تكون جماعية لآداء الركن الخامس من أركان الدين . حيث هيمن هذا الضمير ـ الجمع ـ على المقطع الافتتاحي من

---

[1] عبد الله العياشي ، الرحلة العياشية ،تح : سعيد الفاض وسليمان القرشي ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2006 ، ص :67.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني , المصدر السابق ,ص: ن.

بداية الرحلة و لعل ذلك كان مقصودا من الرحالة و النقطة التي أراد تبئيرها و هي طبيعة الرحلة ، و من خلال البداية أو معرفة بداية الرحلة فإن القارئ المتلقي سوف يعرف نفسه و يتبادر في ذهنه ما سوف يصادفه في الرحلة من مشاهد و مظاهر و أحداث.

<<البداية بالنسبة للرحالة في نص رحلته هي رهان عبره تتأسس مصداقية النص ، و يتحقق الإغراء ، و شد المتلقي ، فالعلاقة بين السارد و المتلقي ترتسم لاستجماع سلسلة من العلاقات إلى متلقي السرد>>[1]

وعليه فإن خطاب التقديم و البداية حيث يعتمد فيه أغلب الرحالة على الإطناب و التفصيل و التوسع و خاصة في الرحلات التي تخضع للتاريخ و تتعامل مع أحداثه و التي تتوالى فيه الأحداث و تتعاقد تعاقبا تاريخيا يكون للخبر حظ و فير في الحضور في الرحلة . فالأخبار متنوعة و متشعبة مما له صلة باللغة و الأدب و منها ما له بالدين و التاريخ.

ما يمكن قوله أن الورثيلاني اختار عنوانا بارزا ومخلدا لرحلته فقد جاء مركب اسمي طويل مسجع ويحمل مضمون الرحلة أما المقدمة فهي لم تبتعد عن خطبة دينية أو مقدمة رسالة فيها ذكر تاريخ الرحلة باليوم والشهر والسنة والهدف منها .

[1] شعيب حليفي ، المرجع السابق ، ص :205 .

الفصـــــل الـثانـي

بنية السرد في الرحلة

1 . سلطة الرحالة

2 . علاقة الرحالة بالآخرين

رغم أن الدراسات السردية أصبحت اليوم الأكثر انتشارا بين النقاد و الدارسين ، إلا أن السرد كنتاج أدبي لا يعتبر جديدا في التراث الأدبي العربي ، يشهد على ذلك العديد من المؤلفات ، ككليلة و ذمنة و ألف ليلة و ليلة و البخلاء فهذه المؤلفات و غيرها من نفس جنسها أصبحت اليوم تمثل أعمالا سردية هامة ، وجد فيها المهتمون بعلم السرد المادة الخام لأبحاثهم و دراساتهم .

و السرد في أبسط معانيه يعني<< الكلام بسلاسة دون اضطراب و لا تلعثم، فسرد الحديث و القراءة تابعهما و أجاد سياقهما >>[1]

و السرد لا بد أن يرتبط بحادثة معينة، تكون هي نواته التي يرتكز عليها باعتباره<< عملية ترتيبية لمجموعة من الأحداث ينتظمها إطار معين و تخضع لخاصيات تميزها عن أنواع الخطابات الأخرى كالشعر و النقد و المسرح و أنواع خطاب العلوم التجريبية و العلوم البحتة>>[2]

و في خضم تطور الحياة بجميع مظاهرها، وعلى جميع المستويات فيها تطور العمل السردي ولم يعد لأحداث متخيلة فحسب، بل أصبح <<هو عادة قطعة من الحياة ، فهو عادة ما يحكي عن شخصيات تقوم بأفعال يمكن تصور وقوعها في الواقع المعيش >> [3]

لقد تطور مفهوم السرد عبر العصور تبعا لمعطيات كل عصر ، من حيث ثقافته و حياته الاجتماعية ومستواه الفكري ، وقد لخص هذا التطور الدكتور عبد المالك مرتاض الذي انطلق من المفهوم اللغوي التقليدي للسردي حيث اعتبر المقصود به << التتابع الماضي

[1] جبور عبد النور ، المرجع السابق ، ص :189.

[2] حسين خمري ، المرجع السابق ، ص: 83.

[3] ينظر: أيمن بكر ، السرد في مقامات الهمذاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط 1998 ، ص : 33.

على سيرة الحديث و القراءة من هذا المنطلق<< باعتباره التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الاشتقاقي ، ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار ، ثم لم يلبث أن تطور مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى اصطلاحي أهم و أشمل ، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي

أو الروائي أو القصصي برمته . فكأنه الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص ،أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي . فكان السرد هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي . وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل معظم المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسيج أيضا >>[1]

وليتم التواصل عن طريق النص الأدبي باعتباره رسالة ، مهما كانت طبيعته و مهما كان جنسه ، لا بد من توفر ثلاثة أطراف رئيسية لا يمكن أن يكون التواصل إلا بتواجدها ، نعني بذلك : المتلقي (قارئا أو ناقدا) و النص و الكاتب ، أو ما يعرف عند النقاد الحداثيين بالمرسل . الرسالة . المرسل إليه يضاف إليه ضرورة وجود شفرة التفاهم بين الباث و المتلقي

<<فكيفما كان شكل التبيلغ فهو يفترض وجود باث ومستقبل أو مرسل ومتلق للنبأ أو المعلومة (Information)

ومن أجل أن يفهم المتلقي الباث الذي يرسل النبأ أو المعلومة ، فإن وجود وسيط مشترك بينهما وهو الشفرة(Le code) أمر ضروري>>[2]

[1] عبد الملك مرتاض ، ألف ليلة و ليلة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ،1993، ص :84(1)

[2] عبد الملك مرتاض ، النص الأدبي من أين إلى أين ،ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط، ص : 21 .

إن كل طرف من الأطراف الثلاثة يعتبر عمدة لا يمكن الاستغناء عنه من جهة ، ولا يمكن أن تكون له قيمة إلا بتوفر الطرفين الأخرين من جهة أخرى ، فلا قيمة لأديب مبدع لا يجد قارئا . ولا قيمة لقارئ لا يجد ما يقرأ ، كما أنه لايمكن أن يكون هناك نص أدبي دون مبدع.

إن هذه العلاقة المتشابكة بين هذه الأطراف الثلاثة ، هي التي تجعل الأدب إبداعا رحبا يتسع لتنوع القراءات ، و تعدد الدراسات . بل تجعله منبعا للإبداع يوسع آفاق الدراسة و يثري روح النقد .

الرحلة الورثيلانية التي نحن بصدد مقاربتها مبينة على الحدث الديني ، ما يجعلها ذات مرجعية دينية تماشيا مع السياق الديني لمادتها والمعلوم أنه، إذا هيمنت الوظيفة المرجعية التي لها علاقة بالسياق ومعلوم أنه<< فالنص يأخذ موقعا بحيث يقوم بوظيفة مرجعية بالدرجة الاولى>>[1]

إن الرحلة هنا تتكئ على مرجعية دينية في بناء متنها ، مما حتم على صاحبها أن يجمع بين موضوعية رجل دين وفنية رجل الأدب . وذلك ما يجعله يتجلى كعنصر أساسي في العملية الإبداعية ، لا يمكن إغفال دوره، ولا تجاوز الوقوف عنده باعتباره هو نفسه الراوي و

<<موقع الراوي في السرد له أهمية كبيرة من حيث أنه يوجه الخطاب السردي الوجهة التي يريدها >> [2].

وعليه فإن ركيزة الاهتمام ستكون على المرسل ، باعتباره هو الذي يقدم الخبر ، ويروي الحدث ، و التركيز عليه يجد ما يبرره في طبيعة النص الذي ندرسه و العصر الذي ظهر فيه ،. إن صح هذا التعبير . في العهد العثماني . فنحن إذا أمام نص تراثي ، و كاتب

---

[1] علال سنقوقة ، المتخيل و السلطة ، نشر رابطة الاختلاف ، ط 1 ، ص : 21

[2] المرجع نفسه ، ص: 206 ,

تقليدي، لن يفرط في فرض سلطته ، سواء قصد ذلك أو لم يقصد، لأن الجميع أمامه ينظرون و يستمعون إن كان في المشافهة ، و يقرؤون و يؤولون إن كان في مقام الكتابة .

لقد سعى الورثيلاني من أجل أن يفرض سلطته ، إلى كسب القارئ ، و جعله متقبلا لما يسرد عليه من أحداث ، متفاعلا معه ، و مشاركا له في نظرته لما حوله ، لذلك خاطب فيه الجانب الروحي، ليشير إلى عواطفه الدينية، ويبعث فيه الروح الإيمانية ، وفي علمه أن القارئ، المعاصر له إنما هو أكثر استجابة عندما يخاطب هذا الجانب .

الرحلة تعتمد على مجموعة من الأعمدة الاساسة والمتمثلة في شخصية الرحالة الذي يعد المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع أحداث الرحلة وبه تستمر فهو دائم الحضور مند بداية انطلاقها و عبورها إلى غاية وصول الرحالة و نقطة نهايتها من هنا يجدر بنا الإشارة إليه هو و الاهتمام بشخصيته في المقام الأول خاصة اذ تحدتنا عن رحلة الى بيت الله و زيارة أماكن وطأتها أقدام رسول الله عليه الصلاة و السلام تكون فيها الشخصية متشبعة بمشاعر و أحاسيس خاصة ، تتغير من حال الى حال وهذه بعض المقتطفات من الرحلة الورثيلانية تؤكد صعوبة الطريق و أهوالها وهي غيض من فيض .

1 . عن طبيعة المياه :

<<نزلنا الحوراء بعد المغرب، وتفرق الناس في مياهها، وهي على حفائر على ساحل البحر ، يحيط بها ديس كثيرة ، وفيه ملوحة كثيرة ، و القريب العهد بالحفر أجود ،وكلما طال في و الإكثار منها يورث إسهالا مفرطا كماء : الأكرة و ازلم و عجرود .>>[1]

2 . وعن البرد و المطر : حيث قال الورثيلاني :

<<ولما التقيا بالركب المصري بالعقبة ،أخبروها عن حالهم مع البرد ، و أنه قتل منهم اثنين ليلة العقبة ، وقرب عجرود ، ما ينيف على الخمسين نفسا ، وذكروا أن الإنسان يكون

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص :347.

في حمل الخشب ، فيوجد ميتا ، وعلى الدابة كذلك ، وحدتنا بعض حجاج القدس التقوا مع الركب المصري في سطح العقبة و الثلج و المطر ما يقضي منه العجب ، مكثوا يومين و ليلتين ما أوقدوا ولا قدروا عليها ، ولا أكلوا من كثرة المطر و عاينوا الموت الأحمر >>.[1]

3. وعن النهب و اللصوص يقول :

ثم وقع الصياح في آخر الركب أن فلانا و أصحابه قد أخده اللصوص ، فرجع البعض << إلينا بأسلحتهم ... لما عملت من كثرة عطب الطريق و كثرة محاربيه و لصوصه

فلا ترى أحدا تأخر إلا أخد وسلب ، أو هلك ، فالحمد الله علينا نتأخر نحن معشر الاخوان عن الركب كثيرا ، و اللصوص في آثارنافلا نرى منهم .... الأعراب الذين صدوا الحجاج في العام الذي قبلنا .... لأنهم أخدوا ركب الحجاج الجزائري و الطرابلسي , بل أخدوا منهم كيت وكيت من الدراهم ، و بذلك خلوا سبيلهم ، ولولا عطاؤهم و إقامة أمير مصر ما جاوزوا العقبة ولا مروا عليها>>[2]

4 ـ وعن الحرارة و العطش يقول :

<< ثم سرنا كذلك إلى أن دخلنا وادي النار ، وهذا الوادي قد وافق فيه الاسم المسمى ، إذ لايخلو من شدة تقع فيه للحجاج ، من عطش و موت ومرض ، وهو واد كبير قد انطبق

عليه الجبلان من النبط إلى الخضيرة ،فينعكس الريح الى الوراء ،وتحدث الحرارة و السموم (بفتح السين) في الهواء و ينشأ الهلاك منه ، ولا ماء هناك الى النبط الى الينبع . فإذا قبح الهواء مع الحرارة ، مات من الناس ألوف مؤلفة في أسرع مدة فيأخذ الرجل الماء ، فلا يضعه من يده حتى يموت ، وقد صار ذلك في رجوعنا >>[3]

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص : 336.

[2] المصدر نفسه ، ص : 332.

[3] المصدر نفسه ، ص : 350.

كما نلاحظ حضور بعض الشخصيات الثانوية في الرحلة معروفة و محددة فاعلة و مؤثرة سواء كان حضورها معنويا في ذهن الرحالة أثناء الطريق أو بحضورها الفعلي عند الوصول إليها و و شخصيات أخرى صادفها الرحالة في مسيرته قد تكون سلبيته تشكل خطرا وتعتبر عاملا معارضا أو قد تكون إيجابيا فتمثل عاملا مساعدا .

ومهما كانت هذه الشخصيات عموما فهي ليست من نسج خيال الورثيلاني و أسماؤها ليست مختارة بطريقة فنية لتحمل دلالة خاصة أو تؤدي وظيفة معينة و إنما هي واقعية معروفة بأسمائها وأنسابها و انتماءاتها وثقافاتها . فإذا كانت الشخصية في الرواية التقليدية : <<كائن حي له وجود فتوصف ملامحها و قامتها وصوتها وملابسها و سنها و أهواؤها وهواجسها و أمالها و آلامها وتلعب الدور الأكبر في الرحلة كذلك لها وجودها .....وتلعب الدور الأكبر في أي روائي يكتبه كاتب رواية تقليدي >>[1]

و كذلك الشخصيات في الرحلة لها وجودها و أهميتها لكن معاملة الرحالة لها تختلف استيراتيجية الروائي بل يركز حديثه عنها وعن مكانتها طبيعتها وسلبيتها و إيجابيتها باعتبارها شخصية واقعية ومن الطبيعي أن تكون الشخصية المركزية في الرحلة هي شخصية الرحالة الممارسة لإنتاج الحدث ، المتعاملة مع الأشياء ، الناقلة للأخبار و المنشئة للأقوال بل كل ماضي الرحلة مرتبط به ومن هنا فحضور " الأنا " ، مفروض بل مطلوب وكل الشخصيات الأخرى في الرحلة للحديث عنها أو التعريف بها في الغالب لصالح و يخدم الشخصية المحورية .

فتجليات سلطة الرحالة " الأنا " هيمنت و طغيان ضمير المتكلم . سواء بصيغته المفرد أو بصيغة الجمع ،على الرحلة من البداية إلى النهاية وهذه ظاهرة تستحق الدراسة من خلال النظرة إليه << كبؤرة مركزية للقول و الفعل و المرافق باعتبارها فاعلا وراحلا و مستمعا للعلماء ومنشدا للأشعار و معلقا على ماسمع أو رأى أو قرأ ، باحثا و محققا إنه يفعل ذلك

[1] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ،ص : 86.

ليضفي الصفات المكتسبة على الذات ، لترشيحها تدريجيا لتكون شخصية عالمة محققة باحثة ، فضمير المتكلم تصريح بالوجود المفرد المؤسس على تجربة خصوصية لا تسري عليها المقارنة بغيرها >>[1].

إن توظيف و استعمال ضمير المتكلم الدال على الرحالة السارد لابد أنه يركز على ماهو إيجابي . من منطلق الرؤية البشرية للذات و الرحلة كغيرها من الفنون السردية التي تعتمد القص و الحكي و تقوم أساسا على شخصية البطل وهو الرحالة الحاضر دائما باسمه الشخصي المعروف ، قد يكون إماما وقد يكون عالما وقد يكون أديبا .

أ). سلطة الرحالة . الشخصية المركزية .

إذا انطلقنا من الشخصية المركزية و نعني بها شخصية السارد وهنا هو الرحالة الذي يقوم بفعل الحركة و الانتقال وهو ذاته المهيمن والمسيطر على كل جميع مجريات أحداث قصة الرحلة و يحتل أيضا دور الراوي الذي بيده جميع الخيوط ، و يبدو جليا في الرحلة الورثيلانية أن شخصية الرحالة الورثيلاني هو المتحكم في الرحلة من البداية إلى نهايتها و الحاضر في جميع محطاتها و المشارك في مختلف أحداثها .

وهو الأمر الذي يبرزه قوله :

<<وانفصلنا و وقع البكاء و الصراخ من أهل البلد كما كان من أنسهم بنا ، إذ اعتقادهم ما دمنا معهم لا يقع بهم إلا الخير و البركة كل ذا بعد التحيل على المنع من السفر أصلا

[1] اسماعيل زردومي ، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم ، نسخة مخطوطة ، أطروحة دكتوراه ، اشراف عبد الله العيش ، نوقشت بجامعة باتنة ، الجزائر ، 2005 ، ص : 131 .

فلما امتنعت كل الامتناع لم يبق إلا الصبر و التسليم بالله له في حكمه و إبرامه و قدراته و إرادته وعلمه>>[1]

. ويظهر هنا الاعتزاز بالمكانة الاجتماعية و محاولة إثبات أنها لم تتزعزع طوال مدة الحج وكان دائم الحرص على الصورة التي تدل على مكانته في مجتمعه وبين أهله .

. كذلك في قوله :

<<فلما سمعوا بنا لقينا من بها من العامة و الخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم وغير ذلك من أنواع الفرح فكل يعزم علينا ويرغب في المبيت عنده إلى أن وصلوا الى الفتنة بسبب ذلك >>[2]

و هنا يبرز احتفالات الاستقبال الضخمة التي أقيمت له و لمرافقيه في كل منطقة مروا بها احتفاء بالعودة و التقرب منه و أخذ البركة بل تجدهم في بعض الأحيان يختصمون وفي موضع آخر قال :

<<وسلكنا طريق أبي خميس فوجدنا أكثر الأحباب منتظرين من وطننا ، ووطن بني يعلى ، إذ فرحوا بقدومنا وسروا برجوعنا العامة و الخاصة أحياهم الله على السنة و أماتهم على الملة... فامتلأ الوعر والسهل والغيضةوغيرها بالناس الذين رغبوا في رؤيتنا واغتنام البركة منا من كل فج عميق لتشهد أحوالنا وتقتبس أنوار أصحابنا >>[3]

كل هذا كان في طريق الإياب ,مايعني أن رقعة شهرته واسعة ليس لها حدود داخل الوطن الكبير , أما في مواطن الأهل والولد والزوج فلابد أن يكون الأمر أعظم وهوما تحقق فعلا فقد استمر الاحتفاء به وبعودته ولم تنقطع الزيارات عنه مدة طويلة من الزمن يقول : << ثم

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 104 .

[2] المصدر نفسه . ص : 806.

[3] المصدر نفسه, ص : 809ـ810.

إنه بعد ذلك تأتينا الوفود من كل وطن تارة ألفا وتارة أكثر من ذلك نحو الأ لف وأربعمائة ثم كذلك على حسب القلة والكثرة إلى أن انقطعوا في مدة طويلة نحو الشهرين >>[1]

مثلنا نلاحظ فإن التعبير عن الشخصية المركزية جاء بضمير المتكلم الجمع وهذا إن دل على شيءإنما يدل على شخصية اجتماعية نابعة من عمق المجتمع لاترى صورتها إلا مع غيرها من أفراد مجتمعها , لتروي ماضيها الذي وقعت أحداثه فعلا وبنية مسبقة . قصدية .

من خلال توظيف كلمة "أحوالنا" ثم "أصحابنا" .

كما نلمح في هذا البطل أنه وضع في ذهنه المتلقي حاضر معه منذ بداية الرحلة المكتوبة إلى نهايتها وأنه يريد خدمته و إفادته وهو ما يمكن الوقوف عليه من خلال قوله : << مبينا بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف مما فتح به علي أو منقولا من الكتب المعتبرة مما يناسب المحل جعله الله خالصا لوجه وعملا متقبلا بين يديه وحصنا حصينا من كل بلاء دينا ودنيا >>[2]

أما عن حضور ضمير المتكلم بصيغة الجمع "الأنا نحن " وعلى وجه الخصوص بالأفعال مثل : ا"نطلقنا" ،"دخلنا" ،"ذهبنا" ،"زرنا" ،"بدأنا" ، "خرجنا" ، "سمعنا"،.....

وهو مايتناسب مع طبيعة الرحلة القائمة أساسا على الحركة والديناميكية فهي شخصية واعية بكل محيطاتها ومشاركة في جميع الأحداث الواقعة في الرحلة ،كما لبست الشخصية المركزية ثوب رجل الإصلاح ذي العين المتفتحة على كل ما يحيط به فهي التي تلاحظ كل شيء ،تقيمه وتحكم عليه وتقول مايجب قوله ولا تخاف في ذلك لوم لائم .

فنجدها تنتقد الظواهر الاجتماعية المنتشرة في المدن والقرى وبين العروش والقبائل بعبارة صريحة فرغم الاعتراف بحسن الاستقبال الذي لاقيته الشخصية في"زمورة "

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني,المصدر السابق ،ص : 813.

[2] المصدر نفسه ، ص : 13 .

ورغم الإشادة بالمدنية وأهلها إلا أنه يرى في هذه البلدة أنها من جهة أخرى<< كثيرة السمن واللحم والقمح ،والمياه الباردة ، والديار الواسعة ، والثياب الحسنة الرهيفة من الصوف والكتان ، وكل ذلك مناقض للخشية أوصاف العبودية ، وإنما هو مثير للشهوات والمخالفات من إظهار المعاصي ، ..... وقد اشتدت القسوة على قلوبهم ، وهي أشد قسوة من الحجارة ، وقد ألفوا ذلك من آبائهم وأجدادهم، قبح الله رأيهم ، فإن أنكرت عليهم أو تغيرت بسببهم ربما عادوك , ورموك بما لا يليق بك .....

حاصله أهل هذه البلدة متصفون بالبدع والشيعة ، والأحوال الخسيسة من الرذائل المننهي عنها شرعا ، وزادوا على ذلك أنهم لاتأخدهم الاحكام ، إذ يأكلون التراث أكلا لما ويحبون المال حبا جما ... حاصله أوصافهم وطبائعم ، خارجة عن طرق أهل الإصلاح ، فلاتحسن معاشرتهم ولا السكن معهم ، لأن الطباع تسرق الطباع ،والمرء على دين خليله ، فلا يكون من خشية الله ولا يباكون من خوف الله ....>>[1]

إن هذه الفقرة تضعنا أمام شخصية تنظر لأحوال الناس من حولها بنظرة الرجل المصلح الذي ينطلق في نظرته من صورة ماثلة أمامه ، رسمها الواقع المعاش في نفس العصرالذي يعيش فيه ، من زاوية الموجه المثقف دينيا الفقيه والتي تجعل الطرف المنتقذ ـ رغم

إسلامه ـ لاينتمي إلى الاتجاه الديني والفكري الذي تنتمي إليه، بالشخصية المركزية وعليه جاء التعبير عن هذا الطرف بضمير الغائب وفي ذلك رغبة خفية لتهميشه لأنه لا يخدمها ما تسعى إليه دوما، ناهيك عن دور الشخصية الذي تريد أن تلعبه وهو دور المنتقد من منطلق أن التنبيه بالخطأ من أولى الخطوات للإصلاح .

كذلك أيضا نذكر لما كانت الشخصية المركزية من أهل العلم فقد تألمت كثيرا من مظاهر الجهل الذي حل ببعض المناطق ، جهل ديني قبل أن يكون جهلا دنيويا ففي أثناء الرحلة

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 808.

لأدائه الفريضة وعند حلوله بمنطقة " الزاب" و بالتحديد "طولقة" كتب << ولما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا ، سوى رجل واحد متكئ يقرأ لوحة وهو ملقى أمامه على غير أدب ولا استقامة ، وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري وحده ، ووقف عنده وقال له رح ياحاج ووجد آخر كذلك ، ولعمري أن هذا أدل دليل على الخراب و أقرب الأسباب له بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال : إذا أراد الله عمارة قوم بدأ بما له فيهم و إذا أراد خرابهم بدأ بما له فيهم .... ولقد بدأ الله هذ البلدة بخراب بيته ... ولقد وددنا عمارتها بالعلم و العمل ورفع الحرج عنها ، برفع ذوي الزيغ و العلل و تدريس العلم و ذكر الله آناء الله و أطراف النهار >>[1]

هذا المقطع يؤكد حقيقة ما أشرنا إليه أن الشخصية المركزية شخصية دينية طاغية على جميع تمظهراتها في محطات الرحلة وقد صور كل من منطقة " زمورة" ، "الزاب" بصورة سلبية معتمدا على توالي الصفات السلبية و توظيف حرف العطف " الواو" ، إيحاء منه بأن لانهاية لتلك الصفات .

كما هومعلوم أن للشعر مكانته في القلوب ، وله تأثيره في النفوس ، و ذلك مايعيه الكاتب جيدا فكان اعتماده على الشعر كبيرا فعندما تُركت الأحشاء وذَابت الأكباد و انهمرت العيون بالبكاء و أصابت النفس العبرة فكادت أن تزهق الروح من شدة ما أصابها من ألم الفراق .... ومفارقة الصديق الأمين صلى الله عليه وسلم فلم يوجد زمان أحلى و أعذب من زمان الوصول إليه و مشاهدة حضرته و التلذذ في محاسن روضته :

مَا اشْتَقْتُ عِلَّتِي وَ هَذَا رِفَاقِي قَدْ تَحَّقَقْتُهُ بِسَيْرِ رِفَاقِي
هَذِهِ مُهْجِتِي تَذُوبُ دُمُوعا فَانْظُرُوهَا تَسِيلُ مِنْ آمَاقِي
كَبِدِي تَلَظَّى وَعَيْنِي تَهْمِي هَكَذَا فَلْيَكُنْ بَدِيعَ اَلْطِبَاقِ

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 121.

يَارَسُولا لَنَا أَتَى بِكَتَابِ   لَمْ تُعَارِضْ آيَاتِهِ بِاتِفَّاقٍ

وَ اَلْكَرِيمُ اَلْمِعْرَاجُ وَ اَلْبَرْقُ خَلَانِي   طَرِيحا إِذْ سَارَ فَوْقَ اَلْبَرَاقِ

وَاَلْذِّي اقْتَصَ مِنْ قُلُوبِ غِلَاظٍ   أَبَتْ اَلْحَق بِاَلْسُيُوفِ اَلْرِفَاقِ

يَا مُزِيلَ اَلْغَمَاءِ أَنْ جَلٌ خَطْبٌ   يَا شَفِيعَ اَلْعُصَاةِ يَوْمِ اَلْتَلَاقِ

أَنْ عَنْ قَبْرُكِ اَلْشَرِيف اِنصِرَافِي   وَ اِنْصِرَامِي وَمَا شفِيتُ اِشْتِيَاقِ

وَ لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بَلَّتَ غَرَامِي   بِالْتِئَامِ وَ اَلْثَرَى فَعِنْدِي يُوَاقي[1]

ولو أردنا البحث عن الطرف أو العامل المساعد للشخصية المركزية : التي تتمثل في الركب ومجموع المرافقين له والذين يتلاقى معهم دينيا و فكريا ، الذين لا زموه من بداية الرحلة إلى نهايتها و كابدوا معه آلام الغربة و فراق الأهل و الوالد في رحلة الذهاب كما في رحلة الإياب.

ـ يضاف إلى ذلك شخصيات الأخرى التي التقى بها الرحالة و استأنس بهاو اطمأن إليها وهذه الشخصيات غالبا ماتكون : علمية أو دينية أو رجال التصوف و يتم التيسير بهم كما يتيسر لهم الصعب في كل أمر << في الصعبة إلا كالعرائس تتلألأ وجوههم نورا وتتبسط أثار محبة الله في طلعة خدهم >>[2]

ـ أما إذا بحثنا عن المانع أمام الشخصية المركزية والذي يقف في وجهها لثنيها عن عزمها و إفساد رحلتها فلا شك أنه هو الآخر يتنوع بين العائق البشري و العائق الطبيعي فقد : <<تضمنت الرحلة العديد من المخاطر منها الظروف الطبيعية مثل الحر و الزوابع الرملية ... يضاف إلى ذلك بعض العصابات من قطاع الطرق التي تعمل خارج ولاية الحاكم

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 213 .

[2] المصدر نفسه ، ص : 92 .

فتترصد مواكب الحج و تأتي على أمتعتها عنوة و بقوة السلاح و أيضا بعض النصابين الذين يستغلون حسن نوايا الحجاج فيسلبون مالهم من مال بالغدر و الخديعة >>[1]

ويمكننا حصر الرحلة في ثلاثة دوائر كبرى :

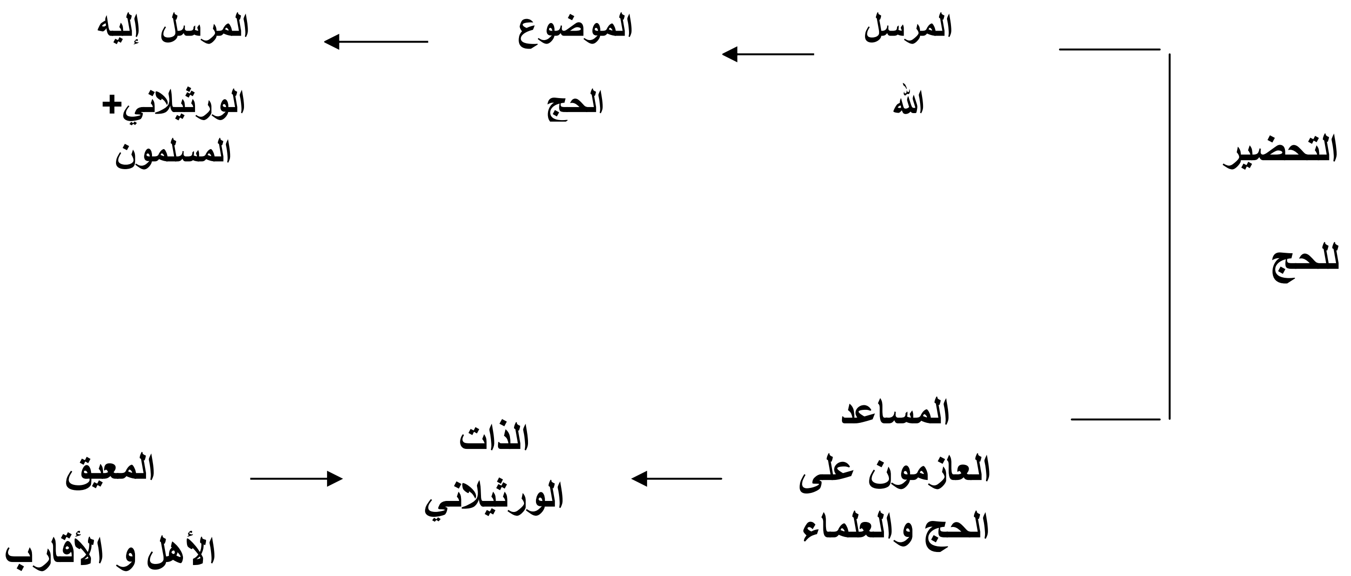

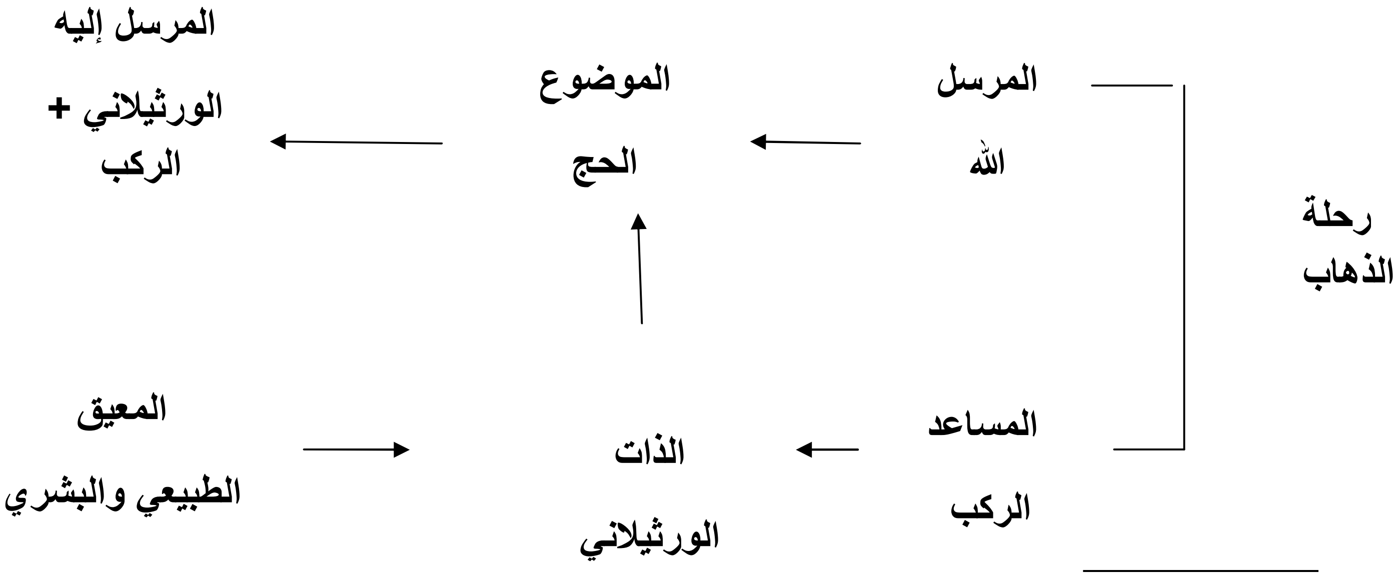

[1] عبد الرحمن عزي ، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع الآبيار ، الجزائر ، دط ، 2011 ، ص : 55 .

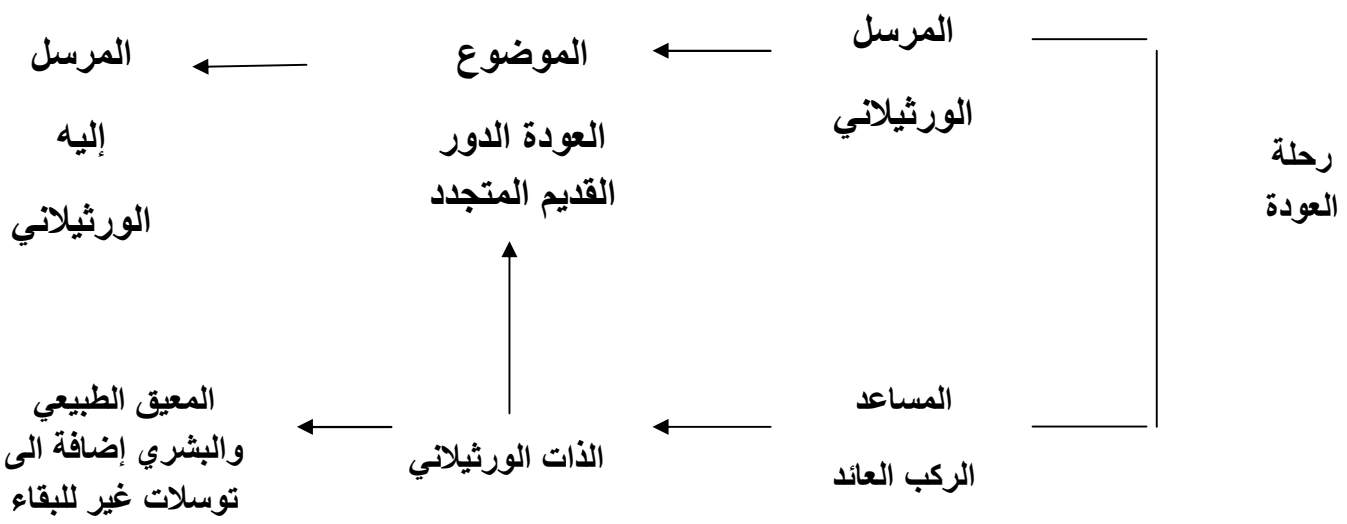

في رحلة العودة يلاحظ أن المرسل أصبح هو المرسل إليه ذاته ، إنه خطاب الذات إلى الذات ، فالورثيلاني بعد قضاء الفريضة و أداء المناسك تحرك فيه الحنين إلى الوطن واستبد به الشوق إلى الأهل فتحركت فيه الرغبة في العودة إلى الوطن وخدمة المجتمع وإصلاحه ، وهكذا بقي الطرف المساعد هو الركب العائق بينما المعيق أضيف له طرف جديد يتمثل في توسلات من زارهم مودعا و أكرموا ضيافته وأصروا عليه وتوسلوا إليه البقاء عندهم الإقامة الدائمة بينهم.

ب ـ علاقتها بالشخصيات الآخرى :

إن تعدد الشخصيات في الرحلة أمر واقع لا يمكن تجاهله أو تجاوزه ، بل اطلاقنا صفة الشخصية المركزية يفرض علينا البحث عن الشخصية المقابلة من منطلق : << تميز الشخصية المركزية ، يحيل على وجود الشخصية الثانوية >>[1]

و الحديث عن الشخصية المركزية التي تمثل "الأنا" أو الثانوية المتمثلة في" الآخر" يجب أن يكون منطلقنا من وعينا التام أننا نتحدث عن شخصيات واقعية ،قد تذكر بأسمائها وقد يشار إليها بحسب طبيعتها ، و بحسب غرض الإتيان بها .

[1]عبد الرحيم مؤدن ، المرجع السابق ، ص : 234 .

1 ـ الآخر العالم أو الولي :

إن المطلع على الرحلات العربية عموما يلاحظ بروز الشخصيات وأكثرها حضورا هم العلماء الذين رفع الله من شأنهم وعظم مكانتهم و اعتبرهم الرسول صلى الله عليه و سلم ورثة للأنبياء فكان من الطبيعي أن يجدوا التقدير والاحترام من أفراد مجتمعاتهم ممن يعرفون قيمة العلم والعلماء.

ذلك ما يتجسد في الرحلة الورثيلانية التي احتفى فيها صاحبها بالعلماءالصالحين ، فسيطر الحديث عنهم على حيز كبير من صفحاتها ، خاصة الفقهاء و علماء الدين و الأولياء الصالحين ، و هذا يتماشى مع طبيعة العصر الذي كما نعلم سيطرت عليه الظاهرة الدينية و يتماشى أيضا مع طبيعة الرحلة وعلى عذا الأساس فإن المقصود بالعلماء في رحلة الورثيلاني هم أولئك المعروفون بأصحاب العلوم الربانية أو بالنورانية فقدعرفهم وذكر أسمائهم ،سماتهم ، مناقبهم وكان هدفه من ذلك أن يستفيد منهم القارئ المتلقي و يتأثر بهم ويسير على نهجهم وهو ما يقره الورثيلاني صراحة بقوله : << إنما نذكر من ذكر الإخوان و المحبين و بيان أوصافهم ليتحقق السامع بأحوالهم و يتصف بأوصافهم و الأقل أن تحضر عنده بركاتهم >>[1]

ولم يتوقف عند ذلك فحسب بل تعداه إلى ذكر وظائفهم و شيوخهم و تلامذتهم وعادة ما يكون الحديث عن هؤلاء مقترنا بكلمة "سيدي" مثل قوله :

<<" سيدي يحي بن الحسين " و " سيدي ناصر الخلفي" كان فقيها حافظا للأنقال وهو من قرننا هذا من الحادي عشر معاصر لجد والد والدي وأولاده على الفضل و الحلم و العلم والحمد الله نفعنا الله بهم آمين >> [2] تشير هذه الكلمة سيدي إلى المكانة الرفيعة التي يتمتعون بها عند أفراد المجتمع ، وفي الوقت نفسه الى تواضع الرجل أمامهم كما يحرص

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 178 .

[2] المصدر نفسه ، ص: 95.

الورثيلاني على التمييز بينهم بالصفات التي تخص الواحد منهم عن الآخر ، مثلما نجد في قوله :

" العالم الكامل " و " ذو العلم المتين " ، " ذو العلوم الربانية و المنح الرحمانية " ومنهم من يصفهم " المحب للنبي ."

" الصالح الفاضل " "ذو الفضل و الصلاح " . وهنا تنتمي جميع الشخصيات الثانوية والمركزية إلى دائرة واحدة هي دائرة الدين الإسلامي مما يجعل العلاقة إيجابية قائمة على التواصل و التفاعل و المشاركة و تتداخل " الأنا " و " الآخر " لتدل على الجمع ، ولا يكتفي الورثيلاني عندها بل يتجاوزه إلى التفاعل أكثر مع المتصوفة فيثني عليهم ويمدحهم بألفاظ موحية بنهجهم الصوفي مثلما نلاحظه في قوله :

<< فقد أدركنا فيها محقق الصلاح و صاحب النجاح ، نجم الصباح ، ذا الأرباح ، صاحب الورع و العلم الصحيح و الزهد و الدواء لإخوانه ممن هو بالحب جريح ، العالم في كل المذاهب ، الذي طاعت و انقادت له المواهب ، سيدي حمد المعزي >>[1]

ولقد تنوع الآخر في الرحلة الورثيلانية من آخر تركي و آخر عربي و آخر صديق و آخر عدو و تبعا لتنوع الطبقات الاجتماعية و اختلاف المراتب السياسية و المكانات الدينية .

2 . الآخر التركي و الحاكم الظالم:

. الملفت في الرحلة أن صورة الآخر التركي تجلت دائما بصورة سلبية لأن منطلقنا من نظرة الأنا القائمة على الأساس الديني والسياسي فالتركي ظالم ، طاغ بل جعله الورثيلاني سببا في انتشار الفساد وعموم الجهل و شيوع الخراب ومايؤكد هذا الكلام على سبيل المثال .

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص : 177 .

عن زمورة : << اجتمع عليها أمران ظلم الأتراك و ظلم الأعراب ... حتى صارت في قلة حيث انسلخت عن أوصاف الأمصار بل عن أوصاف المدن الصغار فهي الآن لا حمام فيها ولا سوف يعتبر منها غير أن الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيما يأكلون منها وينتفعون أتم الانتفاع بها ..... بل لما طغوا وتمردوا جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا وهذا و العياذ بالله سبب اندراس العلم و أهله من كل وطن يوجد فيه ذلك>>[1]

وقد عانى الرحالة في مصر رفقة مرافقيه عناء كبيرا ، نقل عنها بصوة مظلمة وقاتمة عَبرعنها لما نقله عن الشيخ الحفناوي الذي قال : << إن ظلم ولاتها قد وصل كل جنس من أجناس الآ دميين حتى بلغ ظلم الحاج المغربي والعلماء والطلبة والفقراء والأشياخ والصناع و التجار و المجاورين و سائر الناس ولذلك ابتلاهم الله بالشقاق والفتنة ، وكانت مصر لمن غلب ..... فإذا علمت هذا أن والي بولاق قد تعدى على ركبنا أهلكه الله وأخلى منه الأرض ، وكذا معينه يمسك جماعة من الحجاج ويلقيهم في السجن، فإن أخذ منهم شيئا من الدراهم سرح لهم من غير أن يدعوهم أحد للشريعة عدو نفسه >>[2]

3 ـ الآخر الصديق :

ولا يقصد بالآخر الصديق هنا المرافقين من الأهل أو الركب فحسب ، إنما كل ما صادف الشخصية المركزية و تفاعلت و تواصلت معهم فوجدت منهم، يد العون و المساعدة و حسن الاستقبال سواء في رحلة الذهاب أوفي رحلة الإياب وهنا تظهر شخصيات كالتجار ، الفلاحين ، أو غيرهم ممن يتم اللقاء بهم دون تخطيط مسبق ، في هذا الموضع قد أشار إليهم الورثيلاني إشارات عامة ناسبا إياهم إلى بلدانهم و مناطقهم كأن يقول مثلا: <<ولما ودعت أهل بجاية رجعنا إلى دارنا عازما على السفر >>[3]

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 146 .

[2] المصدر نفسه ، ص : 375 .

[3] المصدر نفسه ، ص : 43.

4. الآخر العدو و الآخر الكافر :

يمثل هذا الصنف قطاع الطرق المسلحين الذين يترصدون بالمارة من القوافل وركب الحجيج فيعتدون عليهم و يسلبون أموالهم ويجردونهم من متاعهم ومأكلهم و يختفي الآخر، الكافر في هذه الرحلة و هذا أمر طبيعي لأننا أمام رحلة تجري أحداثها داخل بلاد الإسلام " الجزائر. تونس . ليبيا . مصر . البقاع المقدسة " و إنما كانت له إشارات وذلك من خلال إعادة ما رسخ في ذهنه من حكايات حتى وإن كانت في بعض الأحيان تتسم بالعجائبية كما هو الحال فيما قال عن فرعون فقد:

<< حكي أن فرعون لعنه الله كان يفتن الناس بها "الضفادع " فيعد تراب فرائسها فيحفظه عنده وبعد مطر النيسان في قوارير ، ويقيم كليهما وكيلا و إذا أراد فتنة أحد أمر قيم التراب فيأتيه بقبضة منه و يأمر ا الآخر فيأتيه بشيء من مائه فيجعله في يده ويضمها عليه مدة حتى يحس بتكوينه ضفدعا فيفتح يده فإذا بها ضفدع تثب فيدعي الله انه خلقها عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين >>[1]

وأخيرا ما يمكن قوله عن هذه الشخصية المركزية ـ الدينية ـ التي بسطت نفوذها على الرحلة منذ بدايتها إلى نهايتها كما أنها اهتمت بتسمية الشخصيات و الأماكن بأسمائها الحقيقية وذكر الوقائع و بتواريخها الفعلية ، يجعل المتلقي قادرا على التأكد من صحة ما يقدم له من خلال وثائق تاريخية أخرى و بالتالي يمكن أن يحاسب الرحالة و يحاكمه أمام محكمة التاريخ .

ـ ما يلاحظ كثرة الاستطراء والإطناب والميل المفرط في توظيف محسنات البديع تشعبت المضامين في الرحلة من التاريخ والجغرافيا والعادات و التقاليد ,

شخصية الأنا سيطرت على جميع مكونات الرحلة ولم تسمح للشخصيات الأخرى أن تتحرك أو تبرز موقفا إلا في القليل النادر .

.

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 303 .

الفصـل الثـــالث

البنية الزمكانية للرحلة

1. بناء الزمان الرحلي .

2. بناء المكان الرحلي

إن اعتماد السرد في كتابة التاريخ فرضت على الرحالة أن يخضع لضوابطه و متطلباته فكان تركيزه الأكبر على الحدث " الحج " الذي <<يحتل رأس الهرم باعتباره حجر الزاوية في هذين النوعين من الخطاب >>[1]

الخطاب التاريخي و الخطاب السردي ، وقد جاء سرد الكاتب لأحداث خاضعا للتسلسل التاريخي الذي يتطلبه هذا النوع من السرد منطلقا من أحداث واقعية مصبوغة بمسحة دينية في المعاملات وفي الجانب الفني قولا وفعلا .

ويلي خطاب التقديم و البداية حيث يعتمد فيه أغلب الرحالة على الإطناب و التفصيل و التوسيع خاصة في الرحلات التي تخضع للتاريخ ، تتعامل مع أحداثه، التي تتوالى فيه الأحداث و تتعاقب تعاقبا تاريخيا يكون للخبر حظ وفير في الحضور في الرحلة فالأخبار متنوعة و متشعبة مما له صلة باللغة و الأدب و منها ما له صلة بالدين و التاريخ .

نفس النهج الذي اعتمد عليه كتاب السرد سار عليه الورثيلاني و المتمثل في تقديم صورة للبيئة و الشخصيات في بداية ما يكتبون ثم يعمدون الى سرد الأحداث متتابعة

لأن كل عمل سردي يحمل في داخله حكاية مهما كانت طبيعتها فالتوجهات النقدية الحديثة اليوم أصبحت :<<تعتبر الحكاية مقطوعة زمنية مرتين زمن الشيء المحكي وزمن الحكاية >>.[2]

وإذا نحن بصدد الحديث عن رحلة حجية ، فإن طبيعة الحيز الزمني ستكون خاصة ، لأن الأمر يتعلق بفترة زمنية مقدسة معلومة من البداية الى النهاية فيها يتطهر البدن و النفس من دنس السنين و هذه الفترة تفرض على المسلم الحاج أن يتخلى و يتميز عن غيره :

[1] حسين خمري ، المرجع السابق ، ص : 79 .

[2] . نبيلة زويش ، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي ، منشورات ، الاختلاف ، ط1 ، 2003 ، ص : 73.

و << الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى >>[1]

وعليه فنجد الرحالة حريصا على ذلك كل الحرص، و ينظر إلى الزمن نظرة قائمة على احتساب أيامه و لياليه بدقة ، لأنه يعلم أن كل تأخر سيلغي الهدف من الرحلة كاملا ، وهذا وحده كاف ليأخذ الزمن في مثل هذه الرحلات مكانة أساسية على غرار الرحلات الأخرى،باعتبار أن

<< الرحلة هي نص زمني بامتياز ، سواء كانت هذه البنية من أجل التأريخ أم يقصد إبراز الحرص على إمداد القارئ بوقائع حقيقية ذات مرجعيات مضبوطة لا متخيلة >>[2]

فقداعتمد الورثيلاني في رحلته على تقنية التتابع و تعاقب الأحداث و التي يمكن الوقوف فيها على ثلاث دوائر كبرى تمثل حلقات الزمن المتتابع الذي جرت فيه الأحداث : حيث يحتل زمن الوسط الحظ الأوفر و الأعظم في الرحلة ، فهو زمن أداء الفريضة و الزمن الذي من أجله شد الرحال و هو الزمن الواقع بين الإحرام و التحلل وهو الزمن المقدس بينما يمكن أن نسمي الزمن الذي يسبقه " زمن الشقاء و الأخطار " و " زمن المشاهد و التواصل " لأن المرتحل لا يصل إلى هدفه و مراده إلا بعد قطع مسافات يقوم من خلالها بتصوير الأحداث و الأماكن التي يزورها و لقاء العديد من الأشخاص << ما يستتبع ذلك من أخبار و مرويات و صور و مشاهدات ، يقطع الرحالة عبر هذه الحزمة من الأشياء و الأماكن و الأشخاص العديد من الأزمنة التي تقوده إلى زمن الحج >>[3]

---

[1]. سورة البقرة، الاية : 197 .

[2] شعيب حليفي ، المرجع السابق ، ص : 330 .

[3]. أحمد بوغلا ، الرحلة الأندلسية الأنواع و الخصائص ، دارأبي رقراق للطباعة و النشر الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2008 ص : 147.

ولا يبتعد زمن العودة عن الزمن الأول ـ التوجه ـ حيث يكون الرحالة متطهر النفس ، حاملا للرسالة الجديدة ، يطغى عليه طابع الإصلاح و التعليم و الدعوة إلى الله كما يشهد في ذلك ظاهرة الإطناب التي اعتمدها الرحالة والتي تستدعي منه الشرح و التفصيل و الاستشهاد و الاستعانة بأقوال الآخرين و نستدل بذلك عن ما نقله .عن الشيخ أحمد بن ناصر في وصف مسجد بسكرة قائلا:<< قال شيخ شيوخنا سيد أحمد بن ناصر ما نصه بعد ذكره كلاما يخصه ، وزُرنا مسجدا و طلعنا إلى مئذنته وهي في غاية الإتقان و الطول و السعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها و أدراجها مائة و أربع عشرون درجة و المسجد في غاية السعة و إتقان البناء ..... مع أن هذه المدينة من أعجب المدن و أجمعها لمنافع كثيرة ... كما قال الإمام العياشي في رحلته ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا و غربا أحسن منها ولا أحصل ولاأجمع لأسباب المعاش >>[1]

زمن الرحلة	
1. زمن التوجه	ألم فراق الأهل و الأحبة و شوق لقاء حبيب الله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم
2 . زمن الآداء	الخشوع و التذلل رغبة في التطهر من خلال الحرص على أداء المناسك على وجهها الكامل
3 . زمن العودة	فراق الحبيب و شوق لقاء الأهل و الأحبة .

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص: 117 .

أ . زمن التوجه :

الزمن هو شغل شاغل أرهق العلماء و المفكرين و الفلاسفة و لم يجدوا له حدا فهو لا يُرى و لايُشم إلا أن الإنسان يعيشه في ليله و نهاره وفي صيفه و شتائه و يتأثربه .

وإذا أردنا أن نحدد فترة زمن التوجه فسوف نربطها بالحالة النفسية التي عاشها الرحالة و مدى تأثيرها فيه ، وهي من أصعب الفترات التي يعيشها باعتبارها فراقه للمكان المألوف و الأهل و العشيرة و الاتجاه إلى المكان المقدس و حبيب الله إنه القائل : << و الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين >>[1]

ففي هذه اللحظة تتضارب المشاعر و الأحاسيس بين الآلام فهي لحظة حاسمة و فارقة في حياة كل مرتحل إلى بيت الله لذلك عني بها الرحالة كثيرا إذ نجده يؤكد على حرصه على التأريخ بالشهر و السنة في الرحلة خاصة عندما يتعلق الأمر يالمحطات الكبرى

فقد زار رجال العلم و الشيوخ من وضرائح الصالحين وغيرهم ممن توسم فيهم البركة و استجابة الدعاء فنجده يقول : << لعل الله بذكرهم يزيل الحجاب عنا ويرزقنا الوهب الرباني لي و لذريتي و لمن تعلق بي وأن يحفظني من العوائق عن الوصول إلى الله و أن يجمع شملنا و يرزقنا ما رزق به أهل وده .....>>[2]

بداية زمن التوجه ارتضى له الرحالة الانطلاق بيوم المغادرة فقد اختار لها يوما مباركا . الخميس موعدا وهو ما صرح بذلك : << نعم خرجنا يوم الخميس لما فيه من اليمن و البركة في كل سكون وحركة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم .....>>[3]

---

[1] أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، الفن القرافيكي ، باتنة الجزائر ، ط4، 1981 ، ص : 37 .

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 104 .

[3] المصدر نفسه ، ص : 107.

مايمكن ملاحظته ذكر التاريخ و الشهر ، وإهمال السنة التي تم ذكرها مسبقا في بداية صفحات الرحلة موجها خطابا لمتلق مفترض قائلا :

<< اعلم أيها الأخ لما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة و سبعين و ألف (1179 هـ) >>[1]

و يستمر زمن التوجه ليغطي و يشمل المسافة بين نقطة الانطلاق و نقطة الوصول إلى مكة المكرمة و تمتد هذه المسافة حوالي ستة آلاف كيلو مترا- مسافة فعلية - اختزلها الورثيلاني بجميع أحداثها وما جرى فيها على مستوى السرد ما يقارب الخمس مائة وواحد و خمسين (551) صفحة تقريبا في المجلد الأول من الرحلة ، وما شد انتباهنا هو عدم الانتظام في تحديد الأزمنة بذكر تواريخ خاصة عندما يتعلق الأمر بالأزمنة الصغرى حيث يقول << ثم مشينا من زمورة صبيحة الأحد >>[2]

وفي موضع آخر : << ثم ضعنا صبيحة يوم الثلاثاء إلى أن وصلنا إلى قصر الطير فحططنا به الرحال مع الغير..... وصلنا عند الظهر وانتفى علينا وعليكم الضرر >>[3]

وهذاإن دل على شيء و إنما يدل أن الرحالة شديد الحرص على نقل الوقائع و رواية الأحداث حتى غذا الزمن عنده عنصرا داعما لا عنصرا أساسيا في إستيراتيجة السرد وهو زمن يومي عند الورثيلاني شديد الارتباط بالجانب الديني يؤكد ذلك التوظيف المتكرر للزمن بالإشارة إليه بأوقات الصلاة .

. ما يلاحظ على محطات زمن التوجه هو اعتماد الورثيلاني الكثير من الأفعال الماضية التي فرضت نفسها باعتبار طبيعة الرحلة ، فالرحالة يستعمل الفعل الماضي من كون الرحلة جولة في فضاء الحاضر .

---

[1]. الحسين بن محمد الورثيلاني ، المرجع السابق ، ص : 13 .

[2]. المصدر نفسه ، ص : 110 .

[3]. المصدر نفسه ، ص : 118 .

ويمكننا الوقوف على ذلك من خلال ذكر بعض النماذج كقوله : << فنزلنا قرب بريكة وهي أرض طيبة و فيها نهر جار مثل النيل >>[1] و في موضع آخر : << وصلنا قرية مدوكال التي أمير الركب منها وهو الفقيه الفاضل الكامل سيدي محمد السعود نجل الشيخ سيدي الموهوب .... أسعده الله >>[2]

ونظرا لاهتمام الورثيلاني بالمكان و الشخصيات التي تتحرك فيه فقد غابت المؤشرات الدالة على الأزمنة التي تسبح و تتحرك فيها هذه الشخصيات و لكن نجده في بعض الأحيان من منطلق إفادة غيره من المتوجهين إلى الحج يحرص على تقديم المدة الزمنية المستغرقة في السير من مكان معلوم إلى مكان معلوم آخر لتكون بذلك رحلته دليلا يهتدى به و يستفيد منه غيره في رحلاتهم جاء في نص الرحلة : << تتمة عدد الأيام من سيدي أحمد زروق على الاحتياط إلى مصر بحسب مشينا الجزائري لا الفاسي فإنه أسرع في المشي لتأخره من سيدي أحمد زروق إلى الزعفران خمسة أيام ومنه إلى النعيم يومان ومنه إلى المنعم خمسة أيام أو صبيحة السادس >>[3]

ما يمكن قوله في الأخير أن الورثيلاني أهمل تلك السنة في جميع المقاطع خاصة في زمن التوجه للرحلة و ذلك أنه على وعي تام أن المتلقي على علم بها ، كذلك فهو لم يخرج عن دائرة الرحالة المسلمين من حيث التنويع و استعمال أوقات الصلاة ، و فترات اليوم و مما ميز الورثيلاني هو توظيفه لتعبير : " في ذلك اليوم " الذي وظفه بطريقة ملفتة للانتباه و قد جاء بحسب طبيعة المواقف في الغالب مقرونا بأحداث ينتج عنها انفعالات

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 114 .

[2] المصدر نفسه ، ص : ن.

[3] المصدر نفسه ، ص : 291 .

نفسية متنوعة كالفرح و الحزن و الخوف . كقوله : <<و في ذلك اليوم ولدت بعض النساء طفلا .... عواطف الفرح .>> [1] مثل هذا التوظيف لا بد أن يوحي بواقعية الأحداث .

ب . زمن الأداء :

يعتبر هذا الزمن الزمن المقدس في الرحلة الذي يمتد من الإحرام إلى إتمام المناسك و التحلل و الإتيان بالزيارات و ما لاحظناه على الورثيلاني عدم الاهتمام كعاداته بتحديد الفترات الزمنية ، ولم يؤرخ تأريخا دقيقا ، بل كان تركيزه على المناسك و ما صاحبها من أحداث متنوعة ،فقد استغرقت مجموعة من الصفحات في الرحلة من 443 صفحةإلى 639 صفحة هي لحظات فارقة في حياة المرتحل . الحاج فهي لحظات التكفير عن زلات الماضي و ابتداء زمن جديد و يرتبط هذا الزمن عادة بدخول الورثيلاني إلى مكة

حيث الفرحة و نشوة الاقتراب من تحقيق الهدف وبدا عليه الاحساس بالراحة النفسية و الطمأنينة وهو ما اهتزت له أحاسيس الورثيلاني عندما حل بمشارف مكة المكرمة حيث الجميع << في فرح و سرور و نشاط كبير ، فرحا بقرب الوصول ، و الوصال ،إلى الأماكن الشريفة و حضرة الاتصال >>[2]

ولعل الزمن الأدق هو زمن الإحرام وهو معلوم و مكانه محدد شرعا : << يبتدئ وقت الإحرام للحج من أول فجر يوم عيد الفطر أول شوال و يمتد لفجر يوم النحر 10 ذي الحجة باخراجه الغاية..... فمن أحرم قبل فجره بلحظة وهو بعرفة فقد أدرك الحج >> .[3]

فهي لحظة تسمو فيها الروح وتتطهر النفس و تخشع القلوب.

---

[1] الحسين بن محمد الرثيلاني ، المصدر السابق ، ص :276.

[2] ، المصدر نفسه، ص : 443 .

[3] أحمد صالحي ، مناسك الحج و العمرة على مذهب السادة المالكية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 2 ، 1986 ، ص : 43 .

و يتساوى الناس نطقا ولباسا . وقد عبر عن ذلك الورثيلاني قائلا : << حتى قرب وقت العصر ، فأن إحرام الكل فشمرنا عن ساعد الجد ، ليتأهب جميعنا لما فيه الكمال بالكد ، و رمينا ما كنا بصدده من مجاورة الضد ، و نبذنا ما كنا عليه من مجاوزة الحد ، بل طوينا مسافة الإعراض و متابعة الدنيا وما فيها من الأغراض و سعينا لما فيه رضاه ، و فعلنا ما أمرنا به و ارتضاه ، و أزلنا ثياب الحياة و لبسنا ثياب المماة ..... فوجهنا النفوس لعلام الغيوب ، وما مسنا في ذلك من لغوب ، و لبسنا الأزرار و الردا ، و تركنا ما طغى منا و اعتدى >>[1]

و رغم أن هذا الزمن زمن مقدس ، إلا أن الرحالة لم يهتم بالتأريخ له باليوم ، فلم يخبرنا عن يوم الإحرام و تاريخه ، ففي هذه الأيام المعدودات ، لا يعيش الرحالة خارج الوجود ولا على أطراف المجتمع ، بل على العكس نجده يتفاعل مع ما يحيط به فيقبل و يرفض ، يشيد و يندد ، يسرد ما حدث و يصف ما رأى .

و ما يمكن ملاحظته أيضا من خلال القلب المطمئن الخاشع و الروح الإيمانية المتجلية في تعابير الرحالة و هو يصف الحال قائلا : << من وصل هناك شم رائحة الجوار و استراح من التعب ، بل الإنسان يغيب عن حسه إذا وصل إلى ذلك الموضع و يتقوى عليه شذاء تلك الأماكن العالية و المواضع الطبية فلا تجد أحدا إلا انبسط وجهه و انشرح صدره ، و تمكن قلبه و اطمأن بالله صدره و طابت بذلك نفسه >>[2]

و هذا يعني أن للزمن الحج و لمكان مكة المشرفة أثرهما في الرحالة لكنه يمنعا بعض الصور السلبية للأخر الذي يرى فيه فرصة لكسب المال و قد ألمح الورثيلاني ذلك و تحدث عن مساعدته و تعليمه الناس كيفية الطواف .

---

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني المصدر السابق ، ص : 443.

[2] المصدر نفسه ، ص : 446 .

حين رأى أهل مكة منه ذلك << تغيروا و قالوا ألم تعلم أن أهل مكة لا ينتظرون إلا هذا الموسم ....فقالوا طف لنفسك و اترك الناس >>[1]

وهكذا كلما تقدم الزمن ارتفع معه الخشوع وزاد فيه الاقتراب من أعظم لحظة من لحظات رحلة الحج حيث أسهب الرحالة في ذكر أحداثها و وصف أحوال ناسها خاشيعين ، متضرعين و مبتهلين داعين الله لأنفسهم وأهاليهم وعامة الناس .

<< و لما صلينا الظهر و العصر في المسجد المشهور وهو مسجد نمرة ، توجهنا إلى محل الوقوف و المشاهدة و مكان التضرع و المساعدة زاد الاشتياق للجليل ، و التعلق بكل حبيب و خليل ... دخلنا محل الوقوف بالذل و المهابة ، و الورع و الخوف و الإنابة و الدعاء و التضرع و الاضطرار لتقع الإجابة فوقفنا راكبين لسنة نبينا صلى الله عليه و سلم .... و ألزمنا الدعاء لأنفسنا سرا و جهرا و عموما و خصوصا ... >>[2]

سعى الورثيلاني إلى لقاء خطيب عرفة وقد سعد بذلك فقال : << فوجدت قلبي حين رأيته ، بل أخذ مجامع قلبي و أن الله أسعدني برؤيته فلما قضيت مآربي منه رجعت إلى موضعي و اشتغلت بالدعاء إلى أن تحقق الغروب لأخذ جزء من الليل ....>>[3]

ما يمكن قوله من خلال ما سبق عرضه من مقاطع ؛فقد فرض زمن الحج نفسه على الرحالة في بناء رحلته و ترتيب أحداثه ، و حتم عليه أن يبقى محافظا على سيرورته و ترتيبه الطولي مخضعا إياه لترتيب المناسك ، بداية الإحرام و انتهاء بطواف الوداع و الزيارات إذ طغى عليها التعبير بأوقات الصلاة و طلوع الفجر و غروب الشمس ، خاصة عندماكان الأمر يتعلق بالشعائر الدينية ، نظرا لعظمتها و أهمية الوقت فيها ، هذه بعض المقتطفات التي نستدل بها على زمن الأداء في الرحلة :

---

[1] حسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق ،ص 446

2 المصدر نفسه ، ص :471.

3 المصدر نفسه ، ص : 483 .

ـ فبعد ذلك اليوم عند صلاة العصر ارتحلنا الى منى ....

ـ بعض الأركاب من المصري و الشامي و المغربي لم يرحل إلى نصف الليل أو الثلث الأول

ـ فترك الكل الفضيلة وهو النزول هناك إلى شروق الشمس ....

ـ فلما خرجنا من مزدلفة و وصلنا بينها و بين عرفة طلع الفجر ...

ـ فوصلنا ضحى إلى مسجد نمرة .

ـ فخرجنا لمنى إذ السنة الخروج و قتئذ بقدر ما يدرك به الظهر كل على قدر

ـ حاله فإن المراد بقولهم يدركون بمنى الظهر أي يدركون أواخر الوقت المختار ....

ـ سرنا بالليل إلى طلوع الفجر فقربنا المدينة المشرفة ثم كذلك إلى الإشراق بل إلى الضحى دخلنا المدينة .

ج ـ زمن العودة:

زمن العودة هو دون شك جزء من زمن الوجود و نقطة من نقاطه ولا يحمل سوى دلالة الاستمرار على مستوى الزمن الطبيعي أما على مستوى الرحلة كسفر فهو انتقال داخل الفضاء الزماني و المكاني ، يصبح دليلا على الانتهاء من مهمة أما على المستوى المعنوي فقد يطول و يقصر تبعا للحالة النفسية للرحالة و يمتد هذا الزمن في الرحلة الورثيلانية على مسافة هي بالتقريب نفس المسافة التي استغرقتها في رحلة الذهاب مع تغير بسيط حدث داخل أرض الوطن << إذ توجه الركب بعد دخوله أرض الوطن من تونس نحو

مدينة قسنطينة هذه المرة ، ومنها إلى زمورة ثم بني حافظ ،وأخيرا مسقط رأس الكاتب الحسين الورثيلاني >>[1]

والمؤسف حقاأن الرحالة لم يول الاهتمام بالتوثيق الزمني ،فلم نجد فيها ما يدل على تاريخ بداية انطلاق الرحلة العودة حيث قال الرحالة :<< بعد قضاء المناسك كلها ،والإتيان بالعمرة على تفصيلها ،الإحرام بها من مكان الإحرام ،فقد تم ذلك على اله الأكمل تل الله منا جميع ذلك وأننا مكثنا في مكة ما مكثنا أعني المدة المعلومة كما قيل :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَ يَوْمًا وَ ثَالِثًا وَ يَوْمًا لَهُ يَوْ مُ التَرَحُلِ خَامِسُ [2]

نقول هنا أن الحاج عادة بعدما ينتهي من قضاء مناسكه تتحرك فيه الأشواق إلى الأهل و الوطن ، و بالتالي يبدأ التفكير في توديع المكان المقدس و الحبيب المعشوق ... ولا يختلف اثنان أن لحظة التوديع هذه لها وقعها في النفس و أثرها في القلب حيث تنقلب الأمور فيه إذ يصبح من كان الشوق إليه التألم لفراقه تلك حالة عبر عنها الورثيلاني .. << فلما لاح لنا لائح الافتراق ، و انقدح زناد الاشتياق ،تحركت الأحشاء ،وذابت الأكباد وانهمرت العيون بالبكاء،وأصابت النفس العبرة فكادت أن تزهق الروح من شدة ماأصابها من ألم الفراق ،من قوة ما وجد من عذاب البين ومفارقة الصديق الأمين صلى الله عليه وسلم ... وعظم علي ألم التوديع حتى علا صوتي وارتفع وكاد أمري إلى العويل ،بل أنوح عليه نياح الثكلى العديمة لولدها ،كيف لاوهو أن فراقه أعظم المصائب ولم انفصل منه إلا بصر عظيم وهول جسيم وحزن شديد ،فلم أملك نفسي عند ذلك فعظمت المصيبة وعز الصبر ،غير اني تسليت بانتقاله من دارالدنيا وفراق أصحابه>>[3]

---

[1] عبد الرحمن عزي ،المرجع السابق ، ص : 35 .

[2] الحسين بن محمد الورثلاني ، المصدر السابق ، ص : 517 .

[3] الحسبن بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق، ص : 610 .

واستمر الورثيلاني و فيا لنهجه في التعامل مع الزمن ففي العودة و رغم الوقت المستغرق و اختلاف و الأماكن من عادية و مقدسة ، إلا أنه بقي يفضل الإشارات الزمنية . الدينية . المرتبطة بأوقات الصلاة ، زمن الغروب و الشروق .

" التوثيق الزمني كان متقطعا يرد في محطات ويغيب في أخرى " [1]

وفي هذه المرحلة ظهرت الزيارات للأماكن المقدسة والتي استغرقت مدة العودة : سنة كاملة

أي وصول الحاج إلى بيته وأهله كان يوم الخميس <<ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181 أحد وثمانية ومائة وألف>>[2]

د ـ الترتيب الزمني : لقد جاء الخط الزمني في الرحلة الورثيلانية مبنيا على التتابع والترتيب الزمني ، فنجد الورثيلاني يقدم أحداث رحلته كما هي مرتبة في الواقع وهذا السلوك هو السائد في الأعمال السردية ، فكانت رحلة الذهاب منطلقة من خروجهم من بسكرة ثم وصولهم إلى طرابلس فخروجهم من مصر إلى أن دخلوا مكة المكرمة واتبع المنهجية نفسها في طريق العودة ، كما اعتمد الورثيلاتي لتقنية تسلسل ترتيب الأحداث في مناسك الحج والذي استغرق التعبير عنه من الصفحة 443 صفحة إلى 472 صفحة .

فقد شرع من الإحرام . طواف القدوم . السعي . طواف الإفاضة . الوقوف بعرفة .

1. الاسترجاع :

هو العودة إلى الوراء لإدراج أحداث سابقة على النقطة التي وصل إليها السرد ، ويسمى أيضا اللاحقة << اللاحقة عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد >>[1]

[1] عبد الرحمن عزي ، المرجع السابق ، ص : 34.

[2] اسماعيل زردومي ،المرجع السابق ، ص : 367 .

بينما يسميه الدكتور عبد المللك مرتاض "الارتداد" لاعتبارات لغوية[2].

وينقسم الاسترجاع إلى :<< استرجاع خارجي ، وفيه يظل الحدث الذي يتم استرجاعه خارج الإطار الزمني للمحكي الأساسي و استرجاع مزجي ، وفيه يلتقي الاسترجاع بلحظة بداية الحدث الأساسي >>[3]

ونظرا لبساطة مصطلح الاسترجاع وكثرة شيوعه بين النقاد والدارسين فسيكون هو المستعمل في هذه الدراسة . هذه التقنية تعتبر من التقنيات المعتمدة في الكتابات السردية ، قد يقصدها الكاتب فيتعامل معها بوعي وقصدية ، وقد لايقصدها وإنما تفرضها عليه طبيعة الكتابة السردية وهذا مايكون في الكتابة التاريخية التقليدية الخاصة .

الاسترجاع سواء جاء مقصودا أو مفروضا فإن له وظائف متعددة في العملية السردية كالتذكير بأحداث ووقائع سابقة والرحلات تعتبر أكثر الفنون ارتباطا بالواقع وكثيرا ماتخضع لسلطة التاريخ ، فتأتي الأحداث مرتبة بما تفرضه بنية السفر ، وكذا تدخل الرحالة وبسط سلطته وإثبات حضوره .

من خلال : التقديم والتأخير والإلغاء والتسريع محاولة منه كسب المتلقي والتخلص من رتابة الحدث وخطية الزمن ، و لتقنية الاسترجاع حظ وفير من التوظيف في هذه الرحلة ،فهو المؤرخ والمعلوم أن <<المؤرخ أو الدارس للأحداث التاريخية إنما يقوم باسترداد الأحداث في الزمن الماضي للحاضر >>[4]

ومن نماذج هذه التقنية ما ذكر من صفحة 107 إلى غاية الصفحة 123 .

---

[1] سمير المرزوقي وجميل شاكر ، مدخل إلى نظرية القصة ، الدار التونسية للنشر ، د ط ،د ت : ص : 80.

[2] ينظر ، عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص : 318 .

[3] أيمن بكر ،المرجع السابق، ص : 96 .

[4] حميدة عمراوي ، في منهجية البحث العلمي ، دار البعث ، الجزائر ، ط 1 ، 1985 ، ص : 19 .

من لحظة التوديع إلى دخول بسكرة .

1. الخروج يوم الخميس لما فيه من التيمن والبركة .

2. المبيت في بني حافظ مع الإشارة إلى كرم الضيافة.

3. الرحيل منها لما أصبح الصبح .

4. الوصول إلى بني يعلى عند الضحى والمبيت عند زوج صهرته سيدي بركات

5. التوجه إلى زمورة والمبيت بها ثلاث ليال

6. الخروج منها يوم الأحد .

هنا يتوقف سرد الأحداث ليفسح المجال إلى الاسترجاع الذي يمثله قوله الرحالة :<< وفيها قائد لأهلها سائد بهم يظلم وكيدهم في نحورهم دائم يسعون يبعضهم بعضا قد أهلكوا ، ولم يكن من الله الرضى وبسب ذلك اضطرمت نار الفتنة وحقت عليهم كلمة

اللعنة ... بأنفسهم عذبوا و برأيهم أصيبوا ... وزمورة علمها قليل و جهلها جليل و كثيرة اللهو و اللعب >>[1]

إن ما أعطاه لنا السارد من معلومات في هذا المقطع ، يصور حال زمورة قبل اللحظة التي وصلها السرد ،وعدم الرضى من الله و الفتنة و الجهل .... حاصلة من قبل وعليه يكون هذا المقطع نموذجا و يمثل استرجاعا و عودة إلى حدث سابق .

هذا الاسترجاع هو ما يعرف عند بعض النقاد بالاسترجاع المزجي باعتباره ارتداد لفترة زمنية داخل إطار زمن المحكي الأساسي ، و الأكيد أن توظيف هذه التقنية لم يكن اعتباطا بل لابد أن يكون له هدف ما ، لعله أراد تقديم صورة واقعية للمنطقة في تلك الفترة من فترات

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ،المصدر السابق , ص : 108 .

التاريخ يستفيد منها المؤرخ فيعتبر بذلك الرحالة شاهدا على عصره وهو ما صرح به في مقدمة رحلته :

7 . المشي من زمن صبيحة يوم الأحد.

8 . الوصول إلى أولاد يحي عند المغرب .

9 . الظعن صبيحة يوم الثلاثاء .

10 . الوصول إلى قصر الطير عند الظهر .

11 . الظعن إلى أولاد موسى بن يحي .

هنا يتوقف السرد مرة أخرى ليعود و يتراجع السارد إلى الوراء و يتحدث عن ماضي هؤلاء الذين << كانوا محاربين لا يمر أحد على طريقهم ، وهم على ذلك إلى أن سلط الله عليهم الشر حتى عاشرتهم مع حسن ظنهم فينا ، فأمرتهم بترك ذلك ليكثر عندهم الخير ،

فامتثلوا ، فأفاض عليهم بكثرة الأموال >>[1] يمثل هذا المقطع استرجاعا مزجيا آخر بنفس الصورة السابقة ذكرها ، ولو أننا نلمس من خلاله الطبيعة البشرية للرحالة من خلال محاولته إبراز الأنا و تمجيد الذات ، و يتجلى ذلك في حرصه على إبراز صنيعه مع هؤلاء و كيف كان سببا في تركهم الغي و العودة إلى طريق الهدى و الرشاد .

12 . التوجه الى أودلا ناصر و الوصول اليهم قرب العصر .... و الإقامة عندهم يومين .....،.....و مباشرة بعد ذالك يتوقف السرد ليضعنا الرحالة أمام استرجاع آخر حيث يعود السارد إلى التاريخ القديم المتعلق بالأصول و الانساب قائلا :<< و أولاد ناصر طائفة من العرب و قد رأيت في بعض الطرر أنهم من ربيعة و كذا أولاد رحمة و أولاد

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 112 .

مخلوف ..... وبلد هؤلاء الصحراء >>[1] وقد يكون الغرض من هذا الاسترجاع هو تصحيح خطأ و تأكيد نسب أما عن المقطع الأتي و المتمثل في :

13 . النزول قرب بريكة و التوجه نحو قرية مدوكال .

14 . التوجه إلى بسكرة وحديثه عن الزاب .

نقف هنا عند استرجاع من نوع خاص ، فهو لا يتعلق بالسارد ، و إنما باستعانته بما قال غيره ، و هذا الاسترجاع يتعلق بالعودة إلى مقروءات عادة ما يستدعيها و يفرضها السياق مع بقائه في نفس الموضوع متماشيا مع نفس الحدث .

ما نلاحظه توظيف الرحالة الإشارة التاريخية بذكر تواريخ سابقة على تاريخ الرحلة التي كانت عام 1179 هـ ما يجعل هذا الاسترجاع استرجاعا خارجيا وقد وظفه الرحالة من منطلق الموضوعية و الواقعية و بالتالي مصداقية خطاب الرحلة ذاتها تجلى ذلك في قوله :<< .... قال الإمام العياشي في رحلته .... إلا أنها ابتليت بتحالف الترك عليها و عساكر العرب ، فيستولي عليها هؤلاء تارة و هؤلاء تارة .... قال و لقد لقيت بها سنة تسع وخمسين (المقصود 1159 هـ) رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم و العمل .... قال ولما رجعت من الحجاز في سنة الستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة ..... وسيدي عبد الواحد والد سيدي محمد المحدث عن صلاح هذا السيد كان من أصحاب و والدنا رحم الله جميعهم وكان في حجتنا الأولى التي حججناها مع الوالد (1076) ستة و سبعين و ألف في قيد الحياة >>[2]

. ما يبرز هنا هو الطول المبالغ فيه لهذا الاسترجاع الممتد أربع صفحات تقريبا ، و يستأنف السرد بعد ذلك مباشرة بقوله : <<ولما ذخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل

[1] الحسيبن بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 112 .

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني ، ص : 117 . 120 .

واحد متى يقرأ لوحة وهو ملقي أمامه يقرأه على غير أدب ولا استقامة >>[1] و مثل هذا النموذج من الاسترجاع كثير في الرحلة إن لم نقل أنه يغطي معظم أجزائها ، ولعل ذلك يعود الى اعتماد الرحالة على رحلات سابقية ، و توظيفه الحرفي لما جاء فيها

خاصة رحلتي الشيخين " محمد بن ناصر الدرعي و " أبي سالم العياشي "

وورود العديد من الاسترجاعات ذات الصبغة الدينية يعتبر أمر طبيعي فإستراتجية الورثيلاني التي فرضتها طبيعة الرحلة ، كذلك التكوين الثقافي و الديني للرحالة ، و كذا طبيعة الحياة في عصره .

و إن ما قدمناه من نماذج لتقنية الاسترجاع لا يعني لا وجود لغيرها فالرحلة مثقلة بالعديد من مظاهره ، إلا أننا وقفنا على ما بدا لنا له من أهمية تماشيا و الإتجاه العام لإستيراتيجية الكاتب في تدوين رحلته وهدفه الأساسي منها .

2 . الاستباق prelepse:

هو ذكر حادثة أو التلميح إليها ، في حين يتأخر وقوعها الى ما بعد النقطة التي وصل إليها ؛ بمعنى أن يورد الكاتب ما يمكن أن يوحي بما سيحدث لاحقا ، و بهذا يصبح القارئ أو المتلقي في موقف المنتظر لما سيقع و السابقة هي<< عملية سردية و تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا و هذه العملية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث >>[2] و الاستباق آلية من آليات السرد ، تدفع الكاتب إلى قلب نظام الأحداث عن طريق تقديم مجموعة من الأحداث ، كما يجب أن تتأخر عن أحداث أخرى كان يجب أن تتقدم ، و هذا يعني الاستباق يتجاوز النقطة التي وصلها السرد بمسافة قد تطول .

و الاستباق مثله مثل الاسترجاع نوعان :

---

[1] المصدر نفسه ، ص : 121 .

[2] سمير المرزوقي و جميل شاكر ، المرجع السابق، ص : 80 .

. **استباق داخلي** : وهو استشراف للمستقبل ، أو تنبؤ به لا يتعدى مداه المدى الذي يصله السرد في النهاية .

. **استباق خارجي** : وهو عكس السابق ، يخرج مداه عن المدى الذي يصله السرد . و للسوابق و ظائف متعددة ،<< فقد تتخذ كتمهيد لأحداث لاحقة ، أو التكهن بمستقبل شخصية من شخصيات العمل السردي ، كما أنها تلعب دور الإنباء و تساعد على خلق حالة انتظار عند القارئ >>[1]

ومثلما ظهرت الاسترجاعات في الرحلة الورثيلانية ، تجلت فيها كذلك بعض مظاهر الاستباق ، و ظفها الكاتب من حيث يدري أو لا يدري ، عن قصد أو عن غير قصد .

إلا أن هذه الاستباقات تعتبر قليلة إذا قورنت بالاسترجاعات التي يبدوا أنها لها سيطرة كبيرة على السرد في هذه الرحلة ، لعل ذلك مرده طبيعة الرحلة من حيث أنها أقرب الفنون السردية إلى الواقع من جهة ، و خاضعة للتتابع الزمني من جهة أخرى ، الذي نجده فيه هذه << التقنية تتنافى مع فكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنصوص القصصية القديمة التي تسير قدما نحو الإجابة عن السؤال " ثم ماذا ؟" >>[2]

لقد أشرنا سابقاإلى التوظيف المكثف لضمير المتكلم في الرحلة الورثيلانية ، الأمر الذي يجعلها مجالا رحبا يتسع لتوظيف تقنية الاستباق بصورة كبيرة .

من نماذج هذه التقنية التي يمكن الوقوف عليها في الرحلة ما جاء في الصفحات الأولى منها في المقدمة ، والتي يلاحظ عليها أنها أخذت صورة الخطبة الدينية ، إذ سارت على نهجها في تقنية افتتاحها تماشيا مع طبيعة العصر . عصر الرحالة. بل تعداه إلى تعلق الاستباق بجانب ديني و يتجلى ذلك : << وقد حجوا حجا مبرورا و لقاهم أيضا نظرة و

[1] ينظر : المرجع نفسه، ص : 84 . 85 .

[2] سيزا القاسم ، بناء الراوية ، مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الاسرة ، القاهرة 2004 ، ص : 65 .

رحمة و عزا و رفعة و معرفة وزهدا و بصيرة و سرورا ، و جزاهم أيضا بما صبروا لتعب السفر و مشقته حرا و بردا و سقما جنة و حريرا ، فلا يرون في ظل العرش عذابا أصلا و لا شمسا أيضا ولا زمهريرا ، فما أحسنها من رحلة وظعن من الخلق إلى الخالق و إن إلى ربك المنتهى >>[1]

إن الحديث عن المغفرة و الثواب و الحج و السفر ، قبل الانطلاق نحوه،ماهو إلا إشارة سابقة إلى ماسيكون على سبيل الاستباق الذي جاء مناسبا و متماشيا مع طبيعة الرحلة الحجية .

أما الإشارة الصريحة من الرحالة أنه سيعتمد في رحلته على رحلات سابقيه و تأليف بعض شيوخه << وإن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا و قدوتنا ومن الله ثم عليه اعتمادنا سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي هذا وأن أنقل أيضا من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة و مختصر الجمان في أخبار أهل الزمان وكذا حسن المحاضرة في أخبار أهل الزمان و كذا حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة و غيرها مما يناسب المحل >>[2]

هذا إثبات على الأمانة العلمية للرحالة ، فهو يعتبركذلك استباقا لأن القارئ يصبح على قناعة أنه سوف يصادف الكثير من النصوص المروية و المنقولة حرفيا من هذه الكتب ، الأمر الذي يجعله ينتظر و يتساءل عن كيفية توظيف الورثيلاني لتقنتي الاقتباس والتضمين ، كما هو معلوم لدنيا أن هذا عصر تصوف و كرامات فمن الطبيعي أن نصادف بعض الاقتباسات التي تؤيد هذا التوجه و تناسب طبيعة العقول وتفكيرها نقل الورثيلاني ذلك حين قال : << وعند الافتراق أزال جبة صوف عن جسده فألبسها لي ، و علمت أن الله تفضل علي بذلك ، ثم إنه عند الانفصال قال لي : أخاف عليكم من

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص: 12.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص:13 .

المحاربين بأن قال : قد ثبت عندي بأنهم خارجون إليكم ولا أدري من طريق الكشف وهو الأنسب به والأليق بمقامه أو سمع ذلك ممن يوثق بهم فلما أخبرني بهذا رسم جدولا في الأرض و خط خطا وأمر جميع الحجاج أن يمروا بذلك الخط فمر عليهم .... وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله و لرسوله .....>>[1]

هذا التنبيه هو نقطة من نقاط السرد كما نلاحظ فقد تضمن اشارة إلى حدث لم يقع بعد ، ما يعني أنه من قبيل الاستباق ، وقد أشار الرحالة فيما بعد إلى تحققه الفعلي تماشيا مع صدق و مصداقية الأولياء و كراماتهم كما يعتقد الكاتب و أهل عصره .

كما نلاحظ فإن هذا الاستباق جاء بطريقة مباشرة لم يستطع السارد من خلاله خلق عنصر التشويق الذي يشد المتلقي مثلما نجده في السرود المعاصر كالرواية مثلا ، وهو ما يؤكد قولنا السابق بأن الاستباقات جاءت عفوية في الرحلة تماشيا مع الأحداث وما يفرضه السرد ولم تأتي كتقنية فنية مقصودة .

3 . الحذف euipse:

في كثير من الأحيان ، ينتظر متابع السرد أحداثا ستقع ، لكنه لا يجد لها في النص السردي أثرا ،هذه ظاهرة نجدها في تلك الأنواع السردية ، و يتفق معظم النقاد على تسميتها بالحذف الذي << يتمثل في الأحداث التي يتصور وقوعها دون أن يتعرض النص لذكرها>>[2]. ذلك أن الكاتب يسقطها لغايات محددة . وما يسقط من أزمنة وما يتخللها من أحداث ، قد يطول إلى سنوات ، كما قد يقصر إلى أيام ، وقد لا يتعدى ساعات .

الحذف تقنية من التقنيات السردية التي كثيرا ما يلتجئ إليها الكتاب ، عندما يريدون تسريع الأحداث ، أو عندما يريدون إسقاط بعض الأحداث لعدم أهميتها ، أو عندما يريدون القفز

[1] المصدر نفسه ، ص 532.

[2] أيمن بكر ، المرجع السابق ، ص : 97 .

عليها عمدا ، لخدمة الإستراتيجية المحددة لكتاباتهم . و بعبارة أخرى يعتبر الحذف أو << الإضمار هو<< الجزء المسقط في النص من زمن الحكاية ، سواء نص السرد على ديمومة هذا الإسقاط " كأن يقول :<< ومرت خمس سنوات >> أم لا كما في الجملة المألوفة في القصص الشعبية التونسية : << مشى زمان و جاء زمان >>).>>[1]

و يقسم النقاد الحذف إلى:

. حذف صريح مذكور، يذكر فيه حجم المدة الزمنية المسقطة بتحديدها بالساعات، أو بالأيام أو الأسابيع أو الأشهر أو السنوات.

. حذف ضمني ، حيث تبقى مدة زمن الحذف مبهمة، وفي هذه الحالة على القارئ استنتاجها من خلال السياق، والمعطيات التي يجمعها من خلال التعامل مع النص.

لقد تجلت في الرحلة الورثيلانية، مظاهر الحذف، في كثير من المحطات وقد جاءت بعبارات صريحة تكررت كثيرا وعلى فقرات متتالية، و نذكر مقطعين في الرحلة لا تأثير لهما في المعنى أو في إبراز هذه التقنية جاء في الرحلة : << عند وقت العصر ذهبنا إلى الخيمة فرفعنا الأهل و الدبش على تلك الجمال ثم لحقنا الركب الفزاني ثم ذهبنا كذلك إلى أن صلينا المغرب ولم نزل كذلك في أثر الركب الفزاني حتى مضى وقت العشاء بمدة فوجدناها نازلا فنزلنا معه ثم صبيحة تلك الليلة ظعنا معه إلى أن بلغنا وقت وقت الضحى الوادي الشريف .... فلما دفنوها ارتحلنا عند الضحى ثم سرنا كذلك الى ان اشتد الحر فوصلنا عسفنان فنزلنا فأردنا الذهاب إلى الركب في خليص فتشاورنا مع السيد الشريف الطرابلسي فقال إلى أن يتم الفراغ من الغداء فلما فرغنا فارتحلنا ..... إلى أن طلعنا الثنية التي بعد عسفان .... >>[2]

[1] سمير المرزوقي و جميل شاكر ، المرجع السابق ، ص : 93 .

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 522.

القارئ للرحلة الورثيلانية يمكنه الانتباه إلى مواطن الحذف بكل سهولة في هذه الفقرة، لأن كاتب الرحلة تعامل معه بطريقة بسيطة حددها من خلال جمل متكررة و بنفس الصياغة لكنه لم يحدد مدتها فقوله : لحقنا الركب ثم ذهبنا..... إلى أن صلينا المغرب ولم نزل كذلك .... حتى مضى وقت العشاء.... ارتحلنا عند الضحى إلى أن اشتد الحر، فما وقع من أحداث في الفترات الممتد من..... إلى لا وجود له على مستوى الخطاب.

وفي بعض المواطن نجد الرحالة السارد يوظف تقنية الحذف توظيفا صريحا و ذلك بتحديد المادة المسقطة و ما جرى فيها من أحداث كقوله : << فوجدنا ركبا نازلا بإزائها و فرحوا بلحوقنا فرحا شديدا و قالوا ما نزلنا إلا منتظرين أمركم لا سيما من انفرد عن رفقته منقطعا عنهم وهم جماعة انقطعوا معنا يأكلون ويشربون نحو الثلاثة أيام إلى أن بلغنا إلى الخليص فتلاحقنا الناس وتم الأمر واجتمعت الأحباب >>[1] و الشاهد في هذا المقطع " نحو الثلاثة أيام " التي سقطت أحداثها ولم يشر السارد إلى ما جرى فيها .

. في حين نجد الكاتب في مواطن أخرا يوظف هذه التقنية توظيفا مخادعا، إذ بعد أن يوهم القارئ بأنه استغنى عن أحداث معينة و أسقطها من الخطاب ، نجده بعدها يعود إليها ليذكرها و يؤكد على حدوثها .

فقوله : << ثم أن الركب صار مقيما ذلك اليوم إلى ان صلينا الظهر فظغنا بعد صلاة العصر >>[2]

فلا توجد أية إشارة لما وقع مدة الإقامة تلك الليلة و حتى صلاة الظهر بعدها ، عاد الكاتب وليذكر أحداثها حيث يقول : << بعد السقي و الاستسقاء و دفنا من مات هناك وهو الحاج

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر نفسه، ص : 532 .

[2] . الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 523.

عبد الله بن الحاج الشيباني وقد جعلني وصيا على أولاده ولم يكن له ابن و إنما له بنات >>[1]

وعموما يمكن القول أن الورثيلاني وظف تقنية الحذف بصورة مكثفة و لكنها جاءت برتابة، و تميزت بجمل قصيرة دالة عليها كما جاءت أغلبها محددة المدة .

وهذه نماذج أخرى للحدث ممثلة في إسقاط بعض الفترات الزمنية و أحداثها نقدمها خلال الجدول التالي:

النموذج	س : سطر	الملاحظة
1 . ثم ظعنا صبيحة يوم الثلاثاء إلى أن وصلنا إلى قصر الطير	الصفحة : 110 س : 12.	سقوط الأحداث و الفترة بين الظعن و الوصول .
2 . ثم ظعنا منها إلى بسكرة ذاهبين فبتنا في طريق ليلة واحدة ووصلنا عند الضحى .	الصفحة :115 س : 8	ليلة المبين إلى ضحى اليوم الموالي فترة سقطت بأحداثها
3 . ظعنا ضحى ..... و نزلنا سيدي عقبة عصرا .	الصفحة :124 س : 1	سقوط ما وقع من أحداث في بسكرة و سيدي عقبة
4 . أقمنا بها ثمانية أيام أولها يوم الجمعة و آخرها مثله .	الصفحة : 209 س : 7	ثمنية أيام إقامة سقطت مع أحداثها
5 . لم يمكثوا في البحر إلا اثني عشر يوما و نزلوا الاسكندرية	الصفحة : 210 س : 2	اثنا عشر يوما في البحر لا وجود لها في الخطاب .
6. ثم ظعنا من الطرفاوي قاصدين معطن التميمي فسرنا أياما إلى أن مررنا على عين الغزالة	الصفحة : 702 س : 10	المدة غير محددة ولا اثر لما جرى من احداث

[1] المصدر نفسه ، ص : ن .

4. الخلاصة sommaire

هي تقنية من تقنيات السرد ، يطلق عليها بعض النقاد التلخيص ، و يسميها بعضهم الايجاز ، و هناك من يطلق عليها اسم المجمل[1] . و الخلاصة تعني أن يأتي الكاتب على حدث أو مجموعة من الأحداث ، وقعت في ساعات ، أو أيام ، في أسابيع أو في شهور أو سنوات ، فيعرضها مختزلة في أسطر أو فقرات ، أو في بضع صفحات ، بطريقة مجملة دون تفصيل . وفي هذه الحالة يصبح زمن السرد أقصر من زمن الأحداث ، و بهذا تصبح معادلة الملخص كالتالي **زن < زح**

هكذا يتجلى بوضوح ، أن الخلاصة إنما يعتمدها الكاتب في الأساس ، من أجل تسريع السرد ، وهي بذلك شبيهة بالحذف . و الفرق الجوهري بينهما ، أن الحذف يلغي فترة زمنية مع أحداثها ، بينما الخلاصة توجزهما.

عند العودة إلى رحلة الورثيلاني نجده قد وظف تقنية الخلاصة في العديد من المواضع من ذلك قوله : << ما خرجنا من مصر حتى أوقع الله بها فتنة عظيمة و غلاء قويا >>[2]فالفتنة المذكورة هنا دامت و استغرقت مدة من الزمن اختزلها في جملتين لا أكثر عند السارد ، وفي موضع أخر ذكر << ونزلنا مغيب الشفق قبيل الخضيرة و صلينا بها الصبح و قطعنا الوعرات السبع و خرجنا إلى متسع من الأرض و بلغنا ينبع النخل غروب الشمس >>[3]

[1] ينظر ، سمير المرزوقي و جميل شاكر ،المرجع السابق ، ص : 89.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 89 .

[3] المصدر نفسه ، ص :411 .

. في هذا النموذج إشارة عامة بثلاث جمل لا تفصيل فيها ، فرغم ما يقع من أحداث خاصة مع وعورة الطريق في منطقة الوعرات السبع، والوقوف المختزل هنا امتد في الواقع من بعد صلاة الصبح إلى غروب الشمس >>

جاء في الرحلة أيضا <<و حصلت لنا مشقة عظيمة و كربة قوية إذ طلبنا في بدر عند الأمير فلم يتفق لنا الاستواء معه لكثرة فجوره و تحيله ، فاختفى في المصري فرارا مما يلزمهم منا شرعا ثم اشتكيت لأمير مصر حاله حين نزلنا الصفراء ، فوعدني بالاستخلاص منه عند المدينة و لما وصلنا المدينة ذهبت إليه فأمرنا إلى كيخة الصوان.....أمرني بالذهاب إلى آغة عسكر المغربي فأمرني بترك الثلث أيضا و ظننت فيه وفيمن سبق عدم نصحي فلم يكن الأمر كذلك بل نصحاني جزاهما الله خيرا ولما امتنعت هرب و اختفى ولم أجد له خيرا >>[1]

وما يلاحظ في هذا المقطع أن الرحالة ركز على تلخيص الأقوال و الافعال فتقديم الشكوى إلى الحاكم أو من ينوبه يتطلب حوارا لابد أن يكون طويلا و لكن نجد كل ذلك جاء مختزلا في الفعلين " شكوت " و " أمرني " إلى أن وصل الاتفاق على الثلث .

5ـ الوقفة Pause :

رغم أن الكاتب أراد من خلال تقنيتي الحذف و الخلاصة تسريع الأحداث أنه في الرحلة وقع فيما فرض عليه التبطيء لاعتماده الكبير على تقنية الوقفة.

و الوقفة في مفهوم النقد الحديث ، يقصد بها أن يوقف الكاتب سيرورة الزمن في العمل السردي ، و يعطل سير الأحداث فيه إلى حين << لينشغل بوصف ، أو تحليل، أو تعليق ،

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدرالسابق ، ص : 615 /616 .

وما إلى ذلك >>[1] و كسابقه من المصطلحات ، فقد تعددت تسميات الوقفة عند النقاد ، فهناك من يستعمل بدلها الاستراحة ، و هناك من يستعمل التوقف . و المقصود بالتوقف << التوقف الحاصل من جراء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف الذي ينتج عنه مقطع من النص القصصي تطابقه ديمومة صفر على نطاق الحكاية >>[2] . و هذا يعني أن المعادلة الزمنية للوقفة تكون كالتالي :

و انطلاقا مما تقدم، فالوقفة كما نلاحظ تبدو أكثر ارتباطا بالوصف، سواء كان وصفا للأشخاص، أو الأماكن، أو الطبيعة.

وينقسم الوصف في تقنية الوقفة الى :

وصف ذاتي ، وهو الوصف التأملي الذي ينبع من شخصية من شخصيات العمل السردي ،وفيه << تبين لنا مشاعرها و انطباعاتها أمام مشهد ما >>[3] . و في مثل هذا الوصف قد لا ينجر عليه أي توقف للحكاية

وصف موضوعي ، وهو الوصف التقليدي الذي ينقطع عن الحدث ، ليمثل هو ذاته مقطعا نصيا مستقلا بذاته [4]

ستدور فيه الأحداث ، كما يتخذها الكاتب وسيلة لإبراز قدراته في اللغة و براعته في الوصف مثلما يحدث عادة في المقامات تعتبر تقنية أو الاستراحة من أبرز التقنيات السردية التي وظفها الورثيلاني ، فلقد حفلت الرحلة بالعديد من الوقفات من ذلك قوله :<<فسرنا آخر الركب رويدا روايدا إلى أن صلينا المغرب ثم كذلك إلى أن صلينا العشاء ثم كذلك إلى أن

[1] ابراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الادبي ، دار الافاق الجزائر ، ط1 ، 1999 ص : 73 .

[2] سمير المرزوقي و جميل شاكر ، المرجع السابق ، ص : 90 .

[3] سمير المرزوقي و جميل شاكر ، المرجع السابق ، ص : 90، 91.

[4] . ينظر المرجع نفسه ، ص: 90، 91.

سرنا سويعة بعدها أخبرونا القاضي المذكور فاجتمعنا لتجهيزه ليلا .... فنزل الركب ذلك الوقت فحفرنا له و كفناه وصلينا عليه ..... وعلمنا قبره وهو بين تلك المرحلة و منزلة الينبع و أصابنا بموته مصيبة عظيمة لم أنسها إلى الآن لأننا ظننا أن يرجع الى بيته سالما ينتفع به العامة و الخاصة غير أنه لما تاب و قبلت توبته مات بمرض البطن فهو شهيد وفي طريق الحج ..... وقد حصر الشيخ اليوسي في حاشيته على كبرى السنوسي ..... وكذا الشيخ إبراهيم الشبراخيتي في الجنائز في شرحه لمختصر خليل ثم ارتحلنا آخرا الليل وظعنا من ذلك المحل >>[1]

و الشاهد في هذا المقطع الكلام الممتد من " و أصابتنا بموته مصيبة " إلى " في شرحه لمختصر خليل " ، إذ استغنينا على ما اعتبرناه وقفة ترتبط الأحداث ببعض مباشرة و تصبح كالتالي : ..... كفناه وصلينا عليه و علمنا قبره وهو بين تلك المرحلة و منزلة الينبع ثم ارتحلنا ..... >> فهذه الوقفة عبرت عن وصف ذاتي عبر من خلاله الورثيلاني عن عظمة المصيبة و مدى تأثره بها ، استغلها كذالك لإبراز معرفته الدينية و كثرة اطلاعه فيما يتعلق بالشهادة و أصناف الشهداء .

لم يبتعد في مقطع آخر موقفا السرد ليفسح المجال إلى وقفه أخرى ذاتية معبرا عن أحاسيسه وما يختلج في داخله ، حيث قال << و الحال أني مشتغل في ذلك الوقت بالوظائف و الأذكار الواردة .

بعد صلاة الصبح نعم أخذتني شبه سنة و أنا راكب بغلتي متفكر في أمر الجمال .... إذ شغلني أمرها أتم شغل بل تشوش خاطري .....>>[2]

مايلاحظ في هذا المقطع تداخل الوقفة و امتزجت مع تقنيات أخرى كالحذف و الخلاصة .

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 619 .

[2] المصدر نفسه ، ص : 620.

ممايجدر الإشارة إليه الطول المبالغ فيه لبعض الوقفات التي تمتد إلى صفحات كما حصل تحت عنوان : ذكر خروجنا من بسكرة .

قال الورثيلاني : << ثم لما فرغ الناس من قضاء أوطارهم من بيع و شراءازدياد زاد ظعنا ضحى الثلاثاء خامس و عشرين من رجب و عشرين من شتنبر و نزلنا سيدي عقبة عصرا وهو عقبة بن نافع الفهري التابعي .....>>[1] ومن وقفة موضوعية عرفنا من خلالها بعقبة و حياته وكل ما يتصل به من تنقلات وقته للمغرب

كما تحدث عن الكرامات وعن إفريقيا و المغرب وعن تاريخ المنطقة عموما وهكذا استمر هذا الحديث كله على أمتداد حوالي اثنتي عثرة صفحة معتمدا على كتب غيره وقد ذكر ذلك في ختام الوقفة ملخصا من شرح السقراطسية للشيخ محمد بن علي وبعضه بالمعنى وبعض بالتقديم والتأخير .

ب . بنية المكان :

إن الحديث عن البنية الزمنية منفصلا عن البنية المكانية ،لا يعني أبدا قطع الصلة بين البنيتين ، أو محاولة إبراز هذه البنية منفصلة عن تلك ، ذالك أن البنيتين متلازمتان معا ، و كذلك مع العناصر الأخرى المكونة للعمل السردي .

العمل السردي باعتباره عملا أدبيا يتضمن حكاية ما فإنه يستحيل أن يخلو من المكان أو الحيز كما يفضل أن يسميه الدكتور مرتاض[2] . الذي تجري فيه أحداث تلك الحكاية ف <<

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق، ص : 124 .

[2] ينظر عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ،ص : 141 . 142 .143.

السرد من دون حيز لا يمكن أن تتم له هذه المواصفة إنه لا يستطيع أن يكونه[1] ولو أراد . بل إنا لا ندري كيف يمكن تصور وجود أدب خارج علاقته مع الحيز . >>[2]

لقد فرض المكان نفسه على الأدباء و الشعراء منذ القدم ، فقصائد الجاهليين وعلى رأسها معلقاتهم التي تعتبر رمز عبقريتهم ، احتفت بالحديث عن المكان كعنصر أساسي في بنائها ممثلا في المقدمة الطلالية كما تجلى عندهم وصف الفيافي و الجبال و الوديان في ثنايا القصائد الأخرى . وفي السرديات التراثية نماذج سامية لجمالية المكان، ذلك الذي نجده في ألف ليلة و ليلة ، وفي مقامات البديع و الحريري .

وليس المقصود بالمكان في العمل السردي ذلك المكان الواقعي الجاف المحدد بأرضه و جدرانه ، ببحره و أو وديانه ، أو بشجره ونباته والذي تدركه الأبصار ، وتعبث به الأيدي ، وإنما المقصود به ذلك الإطار الذي لا يدركه إلا الخيال فيغدو فضاء تجري فيه الأحداث وتعيش فيها الشخصيات ، و تتحرك و تتفاعل مع مكوناته . وذلك ما يسمح للقارئ أن ينتقل من غرفة يعيش فيها البطل ، وتجري فيها الأحداث كدلالة على الضيق ، إلى عالم آخر أوسع و أرحب لكن مع بقاء تلك الدلالة التي تتحول بفعل التخيل الى الضيق النفسي الناتج عن العادات و التقاليد و الأعراف في القرية مثلا.

إن نجاح الكاتب أو الأديب في التعامل مع الفضاء المكاني يخضع لتمكنهما من بث الروح في هذا المكان من خلال اعتماد تقنية الوصف التي تعتبر الأكثر التصاقا به ، إذ << لايمكن للفضاء أن يرد دون وصف ، لأن هذا الأخير هو الذي يجعل الفضاء يتبوأ مكانة خاصة بين العناصر السردية الأخرى >>[3]. إلا أن هذا الوصف لا ينبغي أن يكون نقلا فوتوغرافيا يحيل الأماكن إلى ديكور فحسب ، بل على الأديب أو الكاتب أن يضفي على

---

[1] أن يكونه = أن يكون سردا

[2] عبد الملك مرتاض ، المرجع السابق ، ص : 154

[3] عبد العالي بشير ، تحليل الخطاب السردي و الشعري ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، دط ، دت ، ص : 64

الأماكن من جماليات الوصف ما يجعلها حية ذات دلالة ، كما عليه أن يشرك شخصياته في التعبير عنها من خلال طبيعتها ، كأن تكون شخصية ريفية أو شخصية حضرية و كذلك من الأقوال و الأفعال الصادرة عنها .

ويشكل الفضاء المكاني أهم بنية في العمل السردي ، فهو المؤثر في غيره من البنيات فالأحداث و الشخصيات تتأثر به ، و تتلون بلونه ، وتخضع لخصائصه ، فليست الشخصية التي تعيش في الريف هي ذاتها الشخصية التي تعيش في المدينة ، من حيث تفكيرها و نظرتها للحياة و تعاملها مع الآخر . والتجربة الإنسانية أثبتت أن علاقة الإنسان بالمكان هي العلاقة التي تدوم مهما تعددت الرحلات ، ومهما كان البعد فالحنين دوما إلى المكان الأصلي ، و الذي عادة ما يقابل الوطن الأم . و لخلق ثنائية التقابل يصبح المكان المقابل هو مكان الغربة الذي قد تضطر إليه شخصية البطل لسبب ما . و هناك من النقاد من قسم الفضاء إلى أربع أفضية[1]

. العندية : وهو المكان الحميمي الذي اتمتع فيه بحريتي .

. عند الآخرين : وهو المكان الذي أخضع فيه إلى سلطة الغير ، مع ضرورة الاعتراف بها

. الأماكن العامة : وهذه الأماكن ليست ملكا لأحد ، و لكنها ملك للسلطة العامة .

. الأماكن اللامتناهية : ويكون هذا المكان بصفة عامة خاليا من الناس .

صادفنا في الرحلة الورثيلانية مجموعة من الأفعال المتكررة مثل خرجنا ، ظعنا ، نزلنا ، وصلنا ، سرنا ، حللنا ..... وهو ما يؤكد ارتباط الرحلة بالمكان الذي لعب دورا كبيرا في هذه الرحلة رغم انتفاء الإشارة إليه في العنوان و لأن الأمر يتعلق برحلة حجية فإن في هذا

[1] ينظر : عبد العالي بشير ، المرجع السابق ،ص: 64.

الحال سوف يكون المكان خاضعا لثنائية المقدس وغير المقدس ، لقد خرج الورثيلاني باعتباره راوي شخصية الرحلة المركزية من كل ما في الرحلة من موطنه الأصلي متجها لأداء الفريضة على مسافة تفوت ستة آلاف كيلومتر ، ما يعني أنه سوف يمر و يتفاعل مع كم هائل من الأمكنة المختلفة باختلاف مواقعها الجغرافية و مجتمعاتها وما تحويه من نماذج بشرية و عادات و تقاليد ، و علاقته بها" الأمكنة " سوف تتراوح بين الطبيعية تارة و المتوترة تارة أخرى ، والذي يتحكم في ذلك طبيعة المكان من خلال تأثره ب " المنظومات الاجتماعية و الدينية و السياسية و الأخلاقية والزمانية بل إن هذا تبادل بين الصور الذهنية والمكانبة يمتد إلى التصاق معان أخلاقية بالأحداثيات المكانية نابعة من حضارة المجتمع و ثقافته >>[1]. ولهذا نجد الأمكنة تعدد في الرحلة من

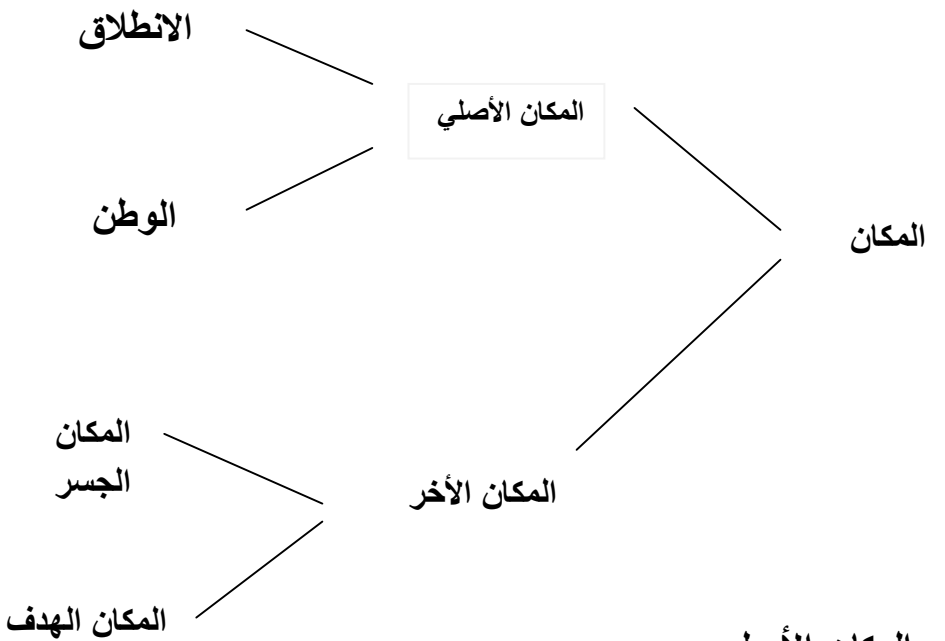

1 . المكان الأصلي :

فمن الطبيعي أن تكون العلاقة حميمية بين الرحالة و مكان الانطلاق مسقط الرأس ، و موطن الأهل و العشيرة فهو المكان الذي يلازم الرحالة ، حاضر في ذهنه و يشتاق إليه في كل لحظة ، وهذا المكان نعني منطقة بني ورثيلان قرب بجاية ، جزء من المكان الأصلي .

[1] سيزا القاسم ، المرجع السابق ، ص : 105.

الوطن . ويمكن الوقوف على علاقة الرحالة بمسقط رأسه من خلال توديعه له و لوطنه فقد تنقل وزار مودعا الأحياء و القبور و الأموات وفي ذلك نظم قائلا :

حَقِي عَلَى اَلْأَوطَانِ بِالْرِعَايَة وَحَقُهُمْ عَلَي بَالْهِدَايَةِ

مَاأَصْعَبَ التَوْدِيعَ لِلْأَحْبَابِ وَعِنْدَهُ بِاَلْحُزْنُ وَ اِكْتِئَابِ

وَكُلُ نَفْسٍ تَزْجَعُ للاِفْتِرَاقِ لِفُقْدَانِ اَلْمَأْلُوفِ بِاخْتِنَاقِ[1]

إن لهذا المكان قيمة أساسية في بناء الرحلة وفي كل ما يشعر به الرحالة على امتداد خط السير وبعد العودة إليه فعلاقته بـ << هي علاقة مركزية تسقط التباسها بعد مغادرته ،فيصبح مرجعا للمقارنة و أفقا للتذكر و الحنين، وما العودة إليه مسلحا بالعلم أو مطهرا نفسيا إلا رغبة في بداية علاقة جديدة >>[2]. تتناسب وحالة الرحالة التي يعود بها و يضاف إلى شخصيته لقب الحاج وما تحمله هذه الكلمة من دلالات خاصة من التقوى و التطهر ، و إذا كنا نرى الورثيلاني لم يحتف بذكر هذا المكان الأصلي . بقدر ما احتفى بالشيوخ و الأولياء الصالحين ، بل إنه عندما يذكر الوطن يربطه بالحديث عن شيخ من الشيوخ من الأموات أو الأحياء وهذا ما رأينا عندما حل بمجانة فبعد ذكر الدخول إليها بالاسم دون وصف ولا تحديد قال مباشرة : << ومررنا على قبر الوالي الصالح و القطب الواضح، رحمة وطننا ، وغيث بلدنا ، سيدي يحي العبدلي نفعنا الله به آمين .....>>[3]

وقال أيضا : << وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها أيضا مع أهل الفضل و العلم زرنا أيضا الشيخ المذكور و الولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضري >>[4] ولأن الرحلة فن مكاني بامتياز فقد اضطر الرحالة إلى الوقوف عند العديد من الأمكنة خاصة التي استهوته

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص : 105 .

[2] شعيب حليفي ، المرجع السابق ، ص : 320 .

[3] الحسين بن محمد الورثيلاني المصدر السابق ، ص : 19

[4] المصدر نفسه ، ص : 16

واصفالها بصورة متميزة لطولقة عاد إليها و اعتبرها <<من أعجب المدن و أجمعها لمنافع كثيرة مع توفر أسباب العمران فيها فقد جمعت من التل و الصحراء ذات نخيل كثير وزرع كثيف و زيتون ناعم و كتان جيد و ماء جار في نواحيها ..... >>[1] .

ففي هذا المقطع ركز الوصف على إبراز أسباب الحياة و أعطى صورة لهذه المدينة حتى غذت جنة على وجه الأرض بها ما يسحر العين و اعتمد على مانقلته العين التي هي هنا كألة تصوير. ومن الأماكن التي اهتم بها الرحالة ووصفها بدقة ، المساجد و التي يبدو أن طبيعة الرحلة و شخصية الرحالة كان لهما دور كبير في ذلك وهو ما نقله عن رحله الذرعي << وزرنا مسجدا و طلعنا إلى مئذنته وهي في غاية الإتقان و الطول و السعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها ..... و المسجد في غاية السعة و إتقان البناء إلا أنه قل عامروه و ضعف ساكنوه >>[2]

. إن دقة الوصف هنا تحمل دلالة الاهتمام بالأماكن المقدسة و حديثه عن قلة المترديدين إليها يؤكد ماقلناه من قيل أن الرحالة يهتم بمن يشغل المسجد فهو العام وهو دائما يبحث عن الفائدة وهو أكثر احتكاكا بالبشر .

2. المكان الآخر:

وهو المكان الذي يغطي المسافة التي تمتد من نقطة مغادرة المكان الأصلي . الوطن . إلى غاية دخول المكان الهدف و الذي ينقسم بدوره "الهدف "على قسمين هما : المقدس و غير المقدس .

في هذا المكان الآخر يعبر الرحالة من خلال أماكن جغرافية متعددة و متمثلة في الدول المتلامسة للحدود : تونس ، ليبيا ، مصر و جميعها تقع في دار الإسلام ، متآلفة فيما بينها

[1] المصدر نفسه، ص :117 .

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني ،المصدر السابق، ص : 117.

، مختلفة في العادات و التقاليد و طبائع البشر مما يجعلها تتباين فيما بينها ، و مما يجعل الرحالة يصادف نماذج بشرية متباينة العادات و التقاليد و الطبائع على هذا الأساس << يصبح المكان ليس فقط للعبور ، وإنما للتزود بالزاد و المعلومات و الحكايات و التجارب، مما يجعل العبور أخصب مرحلة في الرحلة ، نظر لتعدد الأمكنة و تنوع التجارب من جراء اللقاءات و الصدمات و المفاجآت >>[1] وفي هذا المكان نلمح احساس الرحالة بالغربة و تبدأ التناقضات و المقارنات و يصح أكثر انفعالا وتخوفا من أخطار الطريق ؛سواء البشرية منها أو الطبيعية ... و هكذا يصبح المكان آمنا يمتاز بالإيجابية تارة ومضطربا تارات أخرى يمتاز بالسلبية .

3. المكان الإيجابي :

. إيجابية المكان أو سلبيته تكون تبعا لما يحدث فيه من أفعال وما يقال فيه من أقوال لا من خلال نظرة الرحالة إليه وإلى القاطنين فيه ، لأن المكان يتأثر بأهله و قاطنيه من الحكام أو المحكومين كماأنه يؤثر فيهم باعتباره يمثل << جزءا في بناء الشخصية البشرية " قل لي أين تحيا أقول لك من أنت" فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها ، و لكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ ما حولها بصبغتها، و تسقط على المكان قيمتها الحضارية >>[2]

وما يمكن تقديمه عن الأماكن الإيجابية كما صورتها رحلة طرابلس التي نقل الورثيلاني بما قاله عنها الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية عن البكري << وعلى مدينة طرابلس سور ضخم جليل البناء وهو على شاطئ البحر و بها أسواق حافلة و حمامات كثيرة فاضلة ،

[1] شعيب حليفي ، المرجع السابق ، ص : 221.

[2] يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، تر : سيزا القاسم ، جماليات المكان ، جماعة من المؤلفين ، عيون المقلات ، دار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1988. ص : 63.

وفيها رباطات كثيرة يأوي اليها الصالحون ..... و مدينة طرابلس كثيرة الثمار و الخيرات و بها بساتين جليلة ..... >>[1]

ففي هذا المكان تكمن القوة و التحصن ممثلة في السور الضخم و دلالة الدين ممثلة في رباطات الصالحين و دلالة طيب العيش ممثلة في كثرة الثمار و الخيرات ، فالرحالة قدم لهذه المدينة صورة إيجابية فيها رجال صالحين اطمأن إليهم وقال فيهم : << فإذا تمهد هذا فاعلم أن مدينة طرابلس خصها الله بالصالحين ومحبة أهل الخير حتى أنهم لا يصبرون عليهم ... فيها من الصالحين الموتى ما لا يستطيع أحد أن يعدهم وأما الأحياء فبحسب زماننا هم أكثر من غيرهم ....>>[2]

فهذا الفضاء و من خلال ماتقدم الذي تبدو عليه ملامح المدح الذي خصه الورثيلاني بذكر الصفات الحميدة و عبر عنها بألفاظ التمجيد .

إن الرحالة بطبعه يعمد دوماإلى المقارنة بين الماضي و الحاضر ، بين مكان الانطلاق و مكان للعبور وهو ما تحقق في الرحلة الورثيلانية حيث تحدث الرحالة مقارنا:

<< غير أن أهل الجزائر ، يعني من سكن المدينة و كذا أهل وطننا ، فإنهم أعظم منهم ، لا سيما جبال زوارة فإنهم أكرم شيء في الوجود ، إذ يأكلون الرديء ، و يطمعون الضيف الطيب و وطنهم في الضيف من المعيشة >>[3]

4. المكان السلبي :

وهو الذي الذي يخيب فيه ظن الرحالة عندما تعترضه المصاعب أو يلاقي فيه الظلم و الإذلال فيكون ذلك سبب في هجائه و هجاء من فيه وذلك ما نقله عن عرب منطقة الجبل

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص: 182 ,

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدرالسايق ، ص : 197

[3] المصدرنفسه ، ص : 198 .

الذين اعتبروا << من أشد العرب كفرا و نفاقا لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله ليس عندهم من الدين إلا اسمه لا حرفة لهم بعد تربية المواشي إلا النهب و الغارة قل ما مر بهم ركب فسلم من انشاب الحرب بينهم و بينه بسبب غدرهم و فتكهم >>[1]

وما نلاحظه في هذه الإشارة البسيطة إلى المكان ثم الانتقال مباشرة للحديث عن سكانهم و ما تميزوا بسوء أخلاقهم وبشاعة مايصدر منهم ، و بالتالي فهو مكان سلبي يثير الاشمئزاز ويبعث القلق ، عبر عن ذلك بالهجاء و الذم ، و تأتي بعض الأمكنة التي لا منجي و لا ملجأ إلا الله فيها فلا هجاء ولا اشمئزاز وإنما الصبر و الدعاء حتى يحين الفرج وهذا ما حدث فعلا بعد تذخل القدرة الإلهية كعامل غيبي مساعد << نعم اشتد بنا العطش أنا والجماعة من الفضلاء كثيرا قرب وصولنا النبط و إذا بأعرابي أتانا بقربة ماء عذب أظنه من ماء المطر بارد كأنه من ماء الثلج و سقى جميعنا لوجه الله العظيم ولو طلب الدراهم لأخذ منها كثيرا لقرب الموت و الهلاك منا ....>>[2]

إنها الصورة المأسوية نقل فيها الورثيلاني بطريقة أقرب إلى الفنية لحظات الفرج التي تتناسب وهذه الرحلة بعد ذلك خرج الرحالة من الخطر و حل بالمحل << الذي تزهوا فيه النفوس وهو روضة من رياض الله تعالى ، تصلح للمنقطعين و للغرباء و المساكين وهي باب من أبواب الله تعالى ... ، فيها أسواق كثيرة فلا تكاد تنعدم فيها الخيرات و تقضى فيها جميع الحاجات ....>>[3]

لم يخرج الورثيلاني عن نهج غيره من تقديم صورة للمكان بلغة مسجوعة إيجابية ناصعة تحيلنا إلى وصولنا إلى المكان الهدف حيث الاطمئنان و الأمان فمن وصله كمن وصل مكة المكرمة .

---

[1] المصدرنفسه ، ،ص : 270 .

[2] المصدر نفسه ، ص : 439 .

[3] المصدر نفسه ، ص : 440 .

5 . المكان الهدف :

وهو بطبيعة الحال أهم مكان في الرحلة لأنه مقصد الرحلة الأساسي وهو أداء فريضة الحج وعليه يصبح حضور جميع الأماكن الأخرى،تمهيدا له و تخدمه ولهذا المكان قدسية باعتباره يرتبط بمعلمين اثنين من معالم الإسلام :

أولهما : مكة المكرمة وما تحمله من رموز ، فهي بيت الله الحرام ،مهبط الوحي . بها الكعبة المشرفة مركز الكون ....

ثانيهما : المدينة المنورة هي وجهة الهجرة النبوية ، بيت التآخي بين المهاجرين و الأنصار و أول عاصمة في تاريخ الإسلام ..... و بالتالي تكون العلاقة بين الورثيلاني وهذا المكان علاقة حميمية بل أكثر من ذلك حيث تتجلى من خلالها الفرحة و السعادة و الخشوع تعتبر المحل الرباني الذي تزهو فيه النفوس ، و تخشع فيه القلوب و الوصول له هو لحظة الراحة من التعب و الشفاء من المرض و النقاء من الدنس . ولقد عبر عن ذلك بلغة أهل التصوف : << فدخلنا مكة ... في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم بل زال التعب و النصب كأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله بل الأرواح ..... فلما هب نسيم جوار الحبيب عليها أيقضها و أشهدها رسوم مكان الوصال ، و دلائل الحضرة ....>>[1]

في هذا المكان تبدو الحيوية و النشاط عند الرحالة و كثرة التنقلات و الزيارات الأماكن الدينية فهو المكان المقدس و المبارك ، أماكنه محددة معروفة وجهه للغني و الفقير ، وللحاكم و المحكوم وهي أماكن مرتبطة بأداء مناسك : ـ مكان الإحرام ، وما فيه من عسل و الكعبة المشرفة بأستارها وما كان حولها من طواف.

ـ الصفا والمروة السعي بينهما.

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص : 452

ـ عرفات والوقوف فيه ، والمزدلفة ومنى والمبيت فيهما.

ومن أهم الأمكنة المنتمية إلى المكان المقدس تلك المشاهد التي قال أنه ينبغي للحاج أن يزورها بمكة ومنها :

. البيوت والقبور:

من ذلك الدار التي ولد فيها الرسول الله صلى الله عليه وسلم، يحتفل فيها بالمولد النبوي الشريف. كذلك الدار التي ولدت فيها فاطمة بنت محمد رضي الله عنها.

إضافة إلى البيت الذي سكنه الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة و دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنها .

ومن القبور فقبر أمنا حواء . وكذلك قبر ترجمان القرآن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله نعالى عنهما وما يلاحظ على وصفه لهذه الأماكن أنه لم يقدمها بطريقة فنية ، بل تم ذكرها من أجل التعريف بها و بموقعها حفاظا عليها كمواقع تاريخية لها علاقة وثيقة بتاريخ المسلمين .

. المساجد : أهمها مسجد العقبة ، و مسجد إبراهيم ومسجد الكبش .....

وقد ذكر عدد المآذن و النوافذ و الأعمدة يبدوا أن غرضه هو التعريف بها واستحضار تاريخها أما الأماكن الأخرى و التي تم ذكرها في الرحلة غار جبل ثور الذي اختفى فيه الرسول صلى الله عليه و سلم مع صديقه أبو بكر رضي الله عنه وجبل حراء وفضله المشهور كما ذكر جبل أحد و قبر سيدنا حمزة و مسجد جبل عينين.....و مسجد مصلى الأعياد و غيره من المزارات و الآثار التي كان الهدف من ذكرها التوثيق لها والتعريف بها في حين ذكرت الآبار بئر أريس ، بئر رومة ، بئر غرس ، ومن الأودية

نذكر : واد العقيق ، واد بطحان ، و واد رانوناء . و الملفت في جميع هذه الأمكنة المنتمية للمكان المقدس فهي أماكن تصنف ضمن دائرة المكان الإيجابي حضيت بذكر مباشر لها خالي من الفنية .

الخاتمة

الخاتمة

يجمل بنا الآن بعد قطعنا أشواطا من العمل الرجوع الى الخلف للنظر في ما استطعنا تحقيقه من النتائج دون الادعاء الوصول إلى الغاية ، أو استفراغ الموضوع فالدارس و المتطلع للرحلة الورثيلانية يجدها تسجيلا لكثير من الأمكنة و المعالم التاريخية و ذكر العلماء و المشايخ و الأمصار و رجال الدين فيها تشعبت قضايا المضمون في هذه الرحلة إلى موضوعات عدة :منها ما يتسم بالطابع الجغرافي ، و الذي يخص وصف المدن و المسالك و تعيين مواطن المياه كما تحدث عن المساجد و ظروف الرحلة و التوقفات و فيها يتصل بالطابع التاريخي الذي يضم محاور كبير كاالعادات و التقاليد و الثقافة .

_أول علامة نجدها في الرحلة هو العنوان الدي تميز ، بسمة الطول ، والتسجيع وتضمن مضمون الرحلة وهي نزهة وتعني الرحلة المشوقة .

_من النتائج الملاحظة على الرحالة ، فهي شخصية دينية بسطت نفوذها و سلطتها على الرحلة من البداية إلى النهاية فكان هو العالم و الفقيه و المصلح مهتم كثيرا بالحدث التاريخي و الديني وتجلى ذلك من خلال نقله و تسجيله لمشاهد تاريخية و آثار دينية و مساجد و أماكن مقدسة و ذكر الوقائع بتواريخها الفعلية و تسمية الأماكن بدقة و وضوح.

_سيطرة الظاهرة الدينية و احترام و تبجيل العلماء و رجال الدين و التواضع أمامهم كذلك كثرة الاستطراد و الإطناب و الميل المفرط في توظيف مختلف محسنات البديع .

_هيمنة الظاهرة الدينية على الرحلة فصاحبها رجل دين وطبيعتها رحلة حجية لأداء مناسك الحج لذلك نجد تعدد ذكر الزوايا فيها و المشايخ و الأزمنة الدينية و الأماكن المقدسة

الرحلة الورثيلانية هي سيرة ذاتية لرحالة حاج إلى بيت الله العتيق ذكر و عرف بالشخصيات و صف صور أماكن و مساجد.

_الدقة في ذكر الأماكن و تحديد الأزمنة خاصة المتعلقة بذكر أوقات الصلاة خضعت الرحلة إلى نفس البناء الهيكلي المعروف في الرحلات ، خطاب التقديم و خاتمة لا تبعد كثيرا عن الخطب الدينية و الرسائل ظهرت شخصية الرحالة " الآنا " المتكلم في جميع المحطات قولا و فعلا كما ظهرت علاقتها بالشخصيات الآخرى متفاعلة و مشاركة و مصلحة وفي بعض الأحيان ناقدة .

لاحظنا في الرحلة كثرة الاقتباسات من القرآن الكريم.

وفي الأخير نستطيع القول أن هذه المحاولة المتواضعة في الكشف عن بعض آليات الكتابة في هذه الرحلة الجزائرية الورثيلانية قد أوصلتنا إلى نتائج عديدة تعتبر جزءا يسيرا مما قد يستفاد منه في دراسة هذا اللون من الرحلات و يبقى بعضها في حاجة إلى تعميق و تحليل أكبر و إلى تكثيف البحوث .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا المصادر :

1ـ الحسين بن محمد الورثيلاني ، الرحلة الورثيلانية ، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2008 .

2 ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مج3 ، دط ، دت .

3 ـ ابن سيدة المخصص مج 2، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، دط ، دت .

ثانيا المراجع :

1. إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي ، دار الآفاق ، الجزائر ، ط 1 ، 1999.

2 . أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر دط ، 1981 .

3 . أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، مطبعة الفن القرافيكي ، باتنة الجزائر ط4 ، 1981 .

4 . أبو سالم عبدالله العياشي ، الرحلة العياشية ، تح سعيد الفاضيلي و سليمان القرشي ، دار السويدي للنشر و التوزيع أبوضبي ، ط1 2006 .

5 . أحمد بوغلا ، الرحلة الأندلسية الأنواع و الخصائص ، دار أبي رقراق للطباعة و النشر الرباط المغرب ط1 2008 .

6 . أحمد صالحي، مناسك الحج و العمرة على مذهب السادة المالكية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 2، 1986.

7 . أيمن بكر ، السرد في مقامات الهمداني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط ، 1998 .

8 . تهاني عبد الفتاح ، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان و جبرا إبراهيم جبرا و إحسان عباس نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط1 ، 2002.

9 . جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1984 .

10 . حسين محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1983 .

11 . حسين خمري ، فضاء المتخيل ، منشورات دار الاختلاف ، الجزائر ط1 ، 2002 .

12 . حميدة عمراوي ، في منهجية البحث العلمي ، دار البعث قسنطينة الجزائر ، ط1 ، 1985 .

13 . خالد أبو جندي ، جانب الفني في القصة القرآنية ، منهجها و أسس بنائها ، دار الشهاب للطباعة و النشر ، باتنة الجزائر ، دط ، دت .

14 . خليل شكري هياس ، سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأول و شارع الأميرات) ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2001 .

15 . سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية لنشر، دط، دت .

16 . سيزا القاسم، بناء الرواية مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، 2004.

17 . شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ،رؤية للتوزيع والنشر، القاهرة ،ط1،2006.

18 . صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين جغرافيا المبصرة ، دار منشأة المعارف الإسكندرية مصر، ط2 ، 1999 .

19 . عبد الرحمان عزي ، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، الأبيار الجزائر ،د ط ،2011.

20 . عبد الرحيم مؤدن ، الرحلة المغربية في قرن التاسع عشر ، دار السويدي للنشر و التوزيع ، أبوظبي الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2006 .

21 . عبد العالي بشير ، تحليل الخطاب السردي و الشعري ، دار الغرب للنشر، دط، دت.

22 . عبدالله العياشي ، الرحلة العياشية تح: سعيد الفاضل و سليمان القرشي ، دار السويدي للنشر و التوزيع ، أبوظبي الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2006 .

23 . عبد المالك مرتاض ، النص الأدبي من أين و إلى أين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط ، 1983 .

24 . عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب ، الكويت ، 1998 .

25. علال سنقوقة ، المتخيل و السلطة ، منشورات دار الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2000 .

26. نبيلة زويش ، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السميائي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ،2003 .

المراجع المترجمة

1 . يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، تر : سيزا القاسم ، جماليات المكان ، جماعة من المؤليفين ، عيون المقلات ، دار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1988 .

الرسائل الجامعية:

1 . طاهر حسيني ، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة دكتوراه ، نوقشت بجامعة ورقلة ، 2014 .

2 . إسماعيل زردومي ، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم ، أطروحة دكتوراه ، نوقشت بجامعة باتنة ، الجزائر في العام 2005 .